المعتقدات الدينية

في العراق القديم

الدكتور سامي سعيد الأحمد



المركز الأكاديمي للأبحاث

المعتقدات الدينية في العراق القديم

الدكتور سامي سعيد الأحمد



المركز الأكاديمي للأبحاث

المعتقدات الدينية في العراق القديم

الدكتور سامي سعيد الأحمد

التقويم اللغوي: د. حسين الوطيفي.
التنضيد: علي الحسناوي
تصميم الكتاب وغلافه: المركز الأكاديمي للأبحاث.
الناشر:المركز الأكاديمي للأبحاث
بيروت ـ ٢٠١٣
website\\www.academyc2010.com
Email - nasseralkab77@yahoo.com
توزيع: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ش.م.ل.
بناية الوهاد ـ شارع جان دارك
ص. ب8375 ـ بيروت، لبنان
تلفون: 344236/750872/350722 -1 -961+
تلفون + فاكس: 353000/342005/341907-1-961+
Email:tradebooks@all-prints.com
Website:www.all-prints.com

مقدمة المركز

يشكل المعتقد الديني للشرقي محوراً جوهرياً من محاور استيعاب وتفهم ذهنيته وأساليب تفكيره للتشابك المفصلي الذي يقيمة او يتصوره عن العالم العلوي والسفلي وتأثير الإلهة في صياغته وتدبيره فتتحول حياته عبارة عن ممر قصير لحياة أبدية سرمدية لكن علية خلال رحلته القصيرة ان يذعن لتلك الشبكة المعقدة من الطقوس والشعائر اليومية والموسمية والسنوية وربما الألفية المتراكمة بفعل الزمن والمرتبطة بالعالمين السفلي والعلوي اذ ان المسافة الفاصلة بينهما تشكل الميدان الواقعي والفعلي لتلك الممارسات التي تأخذ جل تفكير وتقنين الشرقي فيوظف لها مجمل مجهوداته العقلية والروحية وتبدأ إسقاطات ذلك على مختلف مناحي الحياة من أدب وفن ومعمار واهتمامات أخرى تراوده وتجعل منه منقادا طوعياً لها ، فالبحث في المعتقد الديني للإنسان العراقي القديم يمثل في وجهته الأخرى بحث في الفواعل والغواطس الأساسية التي أسهمت في تكوينة ملامح شخصيته عبر وسيلة استيعاب ظاهرة التدين والمعتقد الذي لاذ به من اجل الترويح عن معاناته وتأمين وجوده المضطرب وربما تفسير بعض الظواهر التي عجز ذهنه التقليدي في تفسيرها وإدراكها.

وربما العوز الذي يراود هكذا أبحاث او دراسات تعنى بالتاريخ القديم ان معظم مواردها او مصادرها هي عبارة عن مصادر مادية كتبت بلغات قديمة ميتة يتطلب التعاطي معها جهوده كبيرة وسنوات طوال من اجل اتقانها واستيعابها ومن ثم توظيفها في مجال هكذا دراسات معقدة تعنى بالاعتقاد الديني الذي يمثل مجموعة التصورات التي يبلورها أفراد المجتمع

أمام كائن أعلى أو قوة متعالية أو خارقة، ويمكن حصر مفهوم الاعتقاد الديني في أنه مبني على علاقة اعتقاد في شيء يتضمن خضوعا وعجزا واعترافا بمحدودية الكائن البشري أمام قوة أشد وأعلى منه وعلى ضوء هذا المعنى يصيغ الأفراد أنظمتهم المعرفية والروحية.

وتعددت المناهج التي يتم فيها التعاطي مع دراسة المعتقد الديني ومنها من أخذ منحى اجتماعي يحاول أن يوظف منجزات العلوم السيسيولوجية في البحث والتقفي ومنها من يتناول الموضوع على أسس عقيدية أو تبشيرية وهذا ما تعنى به في الغالب الدراسات اللاهوتية، لكن الدراسة التي يقدمها هذا الكتاب من الممكن حصرها في المنهج التاريخي الاسترجاعي.

د. نصير الكعبي

مدير المركز الاكاديمي للأبحاث

عبد العراقيون القدامى آلهة كثيرة تقرب من الألفين والخمسمائة، تتباين عن بعضها البعض في الأهمية وأحياناً بالقدم.

وعلى الرغم من غياب المعلومات الكافية عن أصول ديانتهم فإن المعبودات نفسها توضح بأنها قد مرت بمراحل الحيوية والطوطمية قبل تكاملها في العصر السومري القديم.

وتقدم قصة الخليقة البابلية أسماء آلهة قديمة غلبتها آلهة شابة مثل أنشار وكيشار ولخمو ولخامو.

ويبدو أن لخمو كان من الأهمية بحيث عمت عبادته مناطق عدة، وربما سميت باسمه مدينة بيت لحم في فلسطين التي نعرف عن قدمها، وجاء في أسطورة أخرى تقع حوادثها في مدينة دوننو البابلية عن إنجاب إلهين هما خاين وزوجه الآلهة الأرض للأرباب أما كاندو والربة البحر.

ثم قتل أما كاندو والده وتزوج امه، وأخذ السيادة على المدينة، واقترن باخته الربة البحر التي رزق منها بالإله لا خار (رب الماشية).

وقام الأخير بقتل والده والزواج من أمه ربة البحر، وهكذا تستمر الآلهة بالتوالد ويقوم كل جيل جديد منها بقتل آبائه(١).

وفضلاً عن ندرة الأخبار الخاصة بغالبية هذه الآلهة، إلا أن تناحرها قد يدل على منازعات سياسية بين جماعات وفئات متعددة خلال مرحلة تكوينية سياسية وبالتالي دينية لا نعرف عنها الآن شيئاً.

كان الإله المنتصر بعدها يفرض هيمنته لمدة من الزمن.

وتتوضح المرحلة الحيوية في تطور الدين العراقي القديم بتقديس الماء (الأنهار) والنار والقوى الطبيعية (الشمس، والقمر، والكواكب الخ).

أما الطوطمية فتتجلى بالحيوانات المختلفة الملحقة بالآلهة التي كانت تحظى بتقديس مماثل وبتصوير الإله بشكل حيوان كما سنرى.

كانت كل موجة بشرية تدخل العراق تتبنى المعبودات المحلية إلى جانب آلهتها الخاصة التي سرعان ما تغدو هي الأخرى مقدسة لدى الجميع، عدا الآلهة الكشية والحورية التي اقتصرت عبادتها على الكشيين والحوريين، ولم يبق لها تأثير يذكر فيما بعد.

وهذه ظاهرة نادرة المثيل توضح مدى الوئام والانسجام في المجتمع العراقي القديم وانعدام التفرقة والتمايز، وظلت الحال كذلك حتى الاحتلال الفارسي للعراق سنة ٥٣٩ ق.م، إذ لم يَتبنَّ العراقيون القدامى (على حد معلوماتنا الحالية) أي معتقد فارسي أو يوناني حتى التحرير العربي.. وعلى الرغم من أن الدين العراقي استمر دون تغيير جذري حتى

(١) A.K. Cratson, Anclent Near Eastern texts re;ating to the old testament. (Princeton 1969) anet.

عصور متأخرة، إلا أن الموجات المتتالية تركت تأثيراتها فيه كما برزت أفكار دينية فرضها ربما الظرف السياسي مثل التفريد خلال العصر البابلي القديم والنص اليتيم من نهاية القرن التاسع ق.م الذي يشير إلى ما يمكن أن نطلق عليه توحيداً.

أدى الدين في العراق القديم دوراً مهماً في المجتمع العراقي وبرز في كل وجه من أوجه الحياة العامة وتتمتع الكهنة بمكانة مرموقة وتأثير كبير.

فكل الوثائق العراقية القديمة كانت ذات طابع ديني سواء أكانت تجارية أم قضائية، أم طبية أم فلكية وما إلى ذلك.

وعلى الرغم من تعدد مصادر معرفتنا بالدين العراقي القديم (آثار، أساطير، أدعية، تراتيل، نصوص سحرية، أحجار حدود وكتابات متأخرة كالعهد القديم ومدونات الكلاسيكيين وبارحوشا) فإن ما بحوزتنا يمثل العقيدة الرسمية كما اتبعها الكهنة دون ذكر الممارسات الشعبية فضلاً عن حقائق ظلت دونما تفسير حتى الآن منها أصحاب مقبرة أور الملكية الذين كانت لهم أفكار أخروية خاصة توضحها طريقة الدفن التي اتبعوها (أضاح بشرية وكثرة وفخامة الأثاث الجنازي) غير المألوفة في العراق القديم.

امتاز الدين العراقي القديم بخصائص معينة، فإلى جانب تعدد الآلهة وكثرة أسماء بعضها (لمردوخ مثلاً خمسون اسماً في قصة الخليقة)، اعتقد العراقيون بحياة الآلهة المماثلة لحياة البشر عدا الموت والقدرات الخارقة، فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون وينسلون ويأثمون بحق بعضهم لكنهم لا يدركهم الهرم ولا الموت ولهم القدرة على القيام بأعمال اعجازية لا يستطيع البشر أداءها، ثم التناقض إذ يعج الدين العراقي القديم

بالتناقضات، ففي الوقت الذي اعتقدوا فيه بأن الآلهة خالدة نقرأ عن آلهة أدركها الموت مثل أبسو زوج تيامة الأول ومقتل كينكو زوجها الثاني وكوكا لأننا زوج ايريش كيكال آلهة عالم الموتى الأول.

وصوّر العراقي القديم آلهة على شكل إنسان بعين واسعتين وأذنين كبيرتين بصفته بصيراً وسميعاً.

وقد وصل إلينا هذا التصوير لأول مرة، حسب معلوماتنا الحالية، من مزهرية الوركاء التي ترقى إلى العصر الشبه الكتابي وأختام هذه الحقبة.

وظل التخيل البشري للإله يسير جنباً إلى جنب مع الرموز التي اتخذوها لكل إله.

فقد صوروا الإله أنكي بشكل إنسان ورمزوا إليه بتيس جبلي، وكان الطير برأس أسد أيضاً رمزاً للإله نينكرزو (صار في عصور متأخرة عدوه اللدود) وقرص الشمس خاص بالإله أوتو (الشمس) إلى جانب شكله البشري.

وصور أيأنناتوم حاكم لكش يتعبد أمام رمز نينكرزو وحتى العصر البابلي القديم صورت نينيسيننا برأس كلب ونينكشزيدا برأس إنسان وجسم تخرج منه الأفاعي.

اجتهد العراقيون القدماء ارضاءً لآلهتهم بتقديم القرابين والمساهمة في المناسبات الدينية وأداء الصلوات وزيارة المعابد وطاعة الكهنة.

وحوت غالبية أسماء العراقيين الشخصية أسماء آلهتهم أو علاقة للمتعبد اسماً سومرياً وجد أن ٣٨٩ منها حوت أسماء آلهة ومن هذه ١٤٧ اسم الربه

باو، ٦٤ اسم الإله أوتو و ٥٤ اسم نينكرزو الخ.

ومن الأسماء التي وردت باوكينو (باو دليلتي)(١)، ما ننو بلا ايلي (من الذي دونما إله)، سن شيماني (سن اسمعني) شمش موكين زيري (شمش موطد ذريتي ونبو كدوري أو صور (الإله نبو لحمي الحدود أو الإبن البكر)، أيريشوم (الاسم المقدس يرعى)، ايلو شوما (الإله اسم مقدس) الخ.

والحق الكثيرون من الملوك أنفسهم بالآلهة فحمورابي أطلق على نفسه اسم ابن سن وابن دكن وأخ زبابا وابن انيل وفي نص آخر لقب نفسه ابن مردوخ.

الديانة في العراق القديم عبر العصور التاريخية:

مر الدين العراقي القديم برأي جاكوبسون بأربعة أدوار متميزة:

١- الألف الرابع ق.م : على الرغم من كون الاقتصاد العراقي قد حقق انجازاً رائعاً، ففي البداية ازداد فيه الإنتاج الزراعي غير أنه كان قلقاً في المدن لاستناده إلى الري الاصطناعي.

ويعكس الدين هذا القلق ؛ لأن القوى التي ركنوا إليها كانت نفسها الخاصة بالاقتصاديات الأولية التي تعتمد عليها الحياة كالصيد والرعي والزراعة.

وكان هدف الطقوس تأمين وجود هذه القوى الأساسية للخصب

(١) George barton, Relldlous coneption underiaying Sumerian proper names,. Journal American oriental soclety, vol. 31 (1915).

والإنتاج والطعام.

وشيدت لهذه القوى المعابد ليسكنوها كأعضاء أسرة بشرية، وتصور مزهزية الوركاء والأختام الاسطوانية مثل هذه الطقوس كالزواج المقدس.

وتشير القطعة الحزينة إلى الإله دامو وهو في العالم السفلي الذي صار الجفاف بغيابه يهدد الناس: (إلى البعيد. .. العويل (مخافة) عدم رجوعه من شجرة الصنوبر الطاهرة التي ولدتها أنا).

العويل حقاً إلى الكتان، فحقل الكتان قد لا يثمر (ثم يذكر مكان الكتان، النهر والحقل والهور والبساتين والقصر الخ).

٢- الألف الثالث ق.م: وهو دور الخوف من الجوع نتيجة الحروب وما صحبها من تخريب.

وقد نمت خلاله الملكية وازدادت المراكز الحضرية وخير مثل له القطعة التي تصور حزن الإلهة نينكال إلهة أور عندما قرر المجلس الإلهي تخريب أور (إن الخوف من تخريب العاصفة التي تماثل الطوفان قد صعقتني)؛ لأن (هذا) البكاء المرير قد قدر لبلادي.

وإني لا أقدر حتى لو ضمنت الأرض - بقرة تفتش عن عجلها قد استرجعت شعبي.

لأن هذا الحزن المرير قد قدِّر على مدينتي.

ولو أني كطير بسطت جناحيّ، وكطير حلقت إلى مدينتي فإن مدينتي سوف تتخرب حتى أسسها.

٣- الألف الثاني ق.م: ومع بداية الألف الثاني ق.م بدأ خوف الإنسان من الخذلان الشخصي إذ صار العراقي يخاف المرض والمعاناة والمآسي، وظهر مبدأ الإله الشخصي الذي هو تجسيم لقدرة الإنسان على التفكير الصائب، وأخذ العراقي يتساءل عن قبوله أمام الآلهة، وخير مثال في قطعة التقي المعذب (يا عشتار من الذي يقدر على تمهيد الطريق له سواك).

إسمعي تضرعاته، فقد التفت إليك ونشدك، عبدك اقترف ذنباً، اغفري له.

٤- الألف الأول ق.م، إذ عم الاعتقاد بالعفاريت وطغيان الشرور والخوف منها[١]، وقسم جاكوبسون الآلهة السومرية على أربعة أصناف:

أ ـ آلهة الأهوار الجنوبية إذ عبدت القوى الكامنة في المياه والقصب ومن آلهتها أيا (أنكي) وابنه اساللوخي (مردوخ) ودموزي - أبزي إله مدينة كينيرشا جنوب شرق لكش ثم نانشة ربة نينا قرب لكش.

ب ـ آلهة البساتين الجنوبية: وهي ذات ارتباط بالعالم السفلي ويرتبط بعضها مع الأشجار والخضرة ومنها اننانا زوج دموزي ثم الإله نينازو إله مدينة أينكير (بن لارسه واور) وزوجه نينكردا ابنة أيا، والإله نينكيشزيدا إله مدينة كيشبندا قرب أورو الإله دامو رب كرزو وابن نينكيشزيدا.

ت ـ آلهة المناطق الرعوية وآلهتها سن، نينخار إله مدينة كيابريك قرب أور ورب الرعد والمطر وابن سنة زوج نينكيرا إلهة الزبد والقشطة، واوت

(١) Th Jacocsen, Masopotamian Religion, Towaeds the image of tammuz. (camcridge 1970) p. 17.

(شمس) وزوج شنيردا وابنهم شاكان إله الماعز ورعيها والإلهات ننسون ونيخورزاك (بيليت ايلي) ربة أدب وكيش واننانا (عشتار) وشارا ابنة اننانا وربة مدينة اومما ثم الإلهان دموزي وايشكور.

ث ـ آلهة المناطق الزراعية: وهم انليل وزوجه ننليل (آلهة توما‌ل بين نفروشورباك) والإله نركال والآلهة نيسابا ربة القصب وآلهة مدينة ايريك قرب الوركاء، والآلهة باو (كولا) ربة أورو كو لكش وايسن[١].

وفي العصر الأكدي دخل تقديس الملوك لأول مرة، كما نعرف الآن، إذ عد الملك نرام سن آخر ملك قوي للسلالة إلهاً وصور في المنحوتات بالقرنين على خوذته وهي إشارة الإلوهية وسبق اسمه في الكتابات بعلامة إله.

ومن الصعب معرفة الأسباب التي أدت إلى ظهور عبادة الملك والتي ربما يكون هو نفسه قد شجع عليها.

وقد عمت هذه خلال سلالة أور الثالثة إذ اعتبر ملوكها اعتباراً من شولكي شولكي آلهة، وكذلك غالبية ملوك سلالتي ايسن ولارسه، وصار الناس يقسمون بهم، ونظمت التراتيل لهم، وادخلت الأعياد على شرفهم، ودخلت اسماؤهم في أسماء الناس الشخصية مثل شولكي باني (خالقي) و شولكي أي وشولكي حياة بلاد سومر.

وخصصت في العصر الأكدي آلهة كثيرة للحرب والنصر مثل انونا وانو نيتوم (الخاصة بالمناوشات) وايرنينا (نصر) ثم الإلهات شيلا بات (اللبوة)

---

(١) ibed, pp,20ff.

وشدوري (هي حصني) وأبا إله أكد وتيشباك الذي حل محل ننازو كرب اشنونة والأسباب مالك (المستشار) وايرا واللاتوم، ماما وابشارا.

كما نلحظ اعتراف إله الشمس بسلطة الإله أيا التي أخذت كدليل على انتشار عبادة مردوخ في العصر الأكدي[١] ومن مدة حكم جودية تعالى اسم إله ننكيشزيدا.

وفي زمن أور الثالثة ظهرت المجموعة الرباعية (أنو وانليل وننليل وانكي) والذين نجدهم ثلاثة في قائمة أخرى (آنو وانليل وأيا)، وظهرت أيضاً أعياد جديدة أمثال عيد خاص بالملك المؤله ابي سن كان يحيا في مدينة بوزريش دكن (دريهم قرب نفر) خلال شهر كانون أول[٢]، وفي شهر آب كان يحيا في المدينة نفسها عيد يسمى عيد عودة نن آزو (السيد الطيب) من العالم السفلي.

ثم عيد شولكي يم شوسن في شهر تشرين الأول الذي يدور الاحتفال به حول شخص الملك.

وعيد الإله آنو في شهر كانون الثاني وعيد آخر يسمى عيد الإله ميكي كال في شهر شباط.

وخلال السلالة نفسها كان يحتفل بعيد الأشيشو في اليوم الأول والسابع والخامس عشر من كل شهر وأحياناً يحتفل أيضاً في اليوم الخامس والعشرين.

(١). . Semi Ssid Ahmed, The Historical Imporical of cyllnder seals, Iraq.

(٢). . Ur Excavations Texts, (Eut, 1, 289,32).

كان القسم في المستوطنة الآشورية بآسيا الصغرى (بداية الألف الثاني ق.م) يؤدى أمام خنجر الإله آشور أو سلاحه الخشبي المعقوف، نظراً لوجود معبد هذا الإله (الموشلال) في العاصمة آشور.

وعبد الآشوريون خلال العصر الآشوري القديم الإله آشور وايلا برات الذي قدس أيضاً في بيت لحم بفلسطين.

كذلك الإله انليل وأدد وسين.

وإن كثرة الأسماء الشخصية المتألفة من أسماء عشتار وسين وشمش تظهر بأن الآشوريين بالأصل عبدة أجرام سماوية فضلاً عن الاسم أيلي كبكبي أحد أجداد الملك شمش أدد الأول والأدعية التي منها (هلا آشور، عموررروم، كالكوبوم آلهة أجدادنا يتطلعون كشهود)[1].

شهد العصر البابلي القديم تبدلاً مهماً في الدين، فقد اكتسب الالهان أدد وعمورو (مارتو) شعبية كبيرة وبرزا في صور الأختام والأسماء الشخصية.

وشبه أدد بالإله ميروايلومير من آلهة المنطقة الغربية ويبدو أنه طغى على إله سومري كتب بالرمز ايم (الذي يشير إلى الريح) ويلفظ ايشكور.

كما أخذ اسم الإله مردوخ نصير مدينة بابل يتعالى حتى وصل قمة رفعته في نهاية سلالة بابل الأولى والعصر الكشي.

كما شاع الفحص الطقوسي لأحشاء الحيوانات المضحاة وكطريقة

(١) E.S. Edeards and others, Cambridge ancient history, CAH, VOL.1. Part 2,. (camdridge 1971) p. 768.

للاستخارة المقدسة الرسمية برزت أهمية العرّاف، وصار الآن كل إنسان هو ابن ربه الخاص وهو مبدأ كان مقتصراً على الملوك وربما الكهنة من قبل.

وأدرك العراقي إمكان ظهور آلهة متعددة كأوجه لرب واحد (التفريد) فنقرأ في نص (نركال هو مردوخ المعارك، زباباهو مردوخ المذابح، انليل هو مردوخ الشورى والحكم وشمش هو مردوخ الحق والعدل)[1].

ويطابق نص آخر الإله ايررا مع ميسلامته والإله لاخوش مع نركال.

ويجعل نص ثالث عدة آلهة أعضاء الإله ننورتال أنليل وننليل عيناه، سن بؤبؤ عينه، آنو وانتو شفتاه، الكائنات السبعة المقدسة هم اسنانه ودمكينا وأيا اذناه ونابو صدره).

وقد تكون هذه الأمثلة محاولة من الكهنة لتقليل عدد الآلهة وترويج الاعتقاد بإله متسلط متنفذ بين إخوانه الآلهة.

وربما أراد الكهنة الإعلان بأن عدد الآلهة بالواقع هو أقل بكثير مما يظن الناس.

كما دخلت خلال هذا العصر بعض الطقوس الجديدة كطقس مدته سبعة أيام يضحى بكل يوم خلاله خروف داخل بيت عامل الطقس مع تقديم الحبوب والبيرة.

وفي الوقت نفسه يضحي خروف في مزار وآخر إلى إله أو آلهة ذلك اليوم مع تقديم حبوب وزيت ونوع من الكعك المدور الصغير المصنوع من الدن

(١) G. Conteuue, Everyday Life in Babylyonia and Assyria (New York, 1965) p.. 126.

والطحين (يسمى كاكيرتوم)[1].

وخلال العصر الكشي طابق الكشيون آلهتهم مع الأرباب البابلية، فطوبق شيباك مع مردوخ وخالا مع كولا وشوقامونا (رأس المجمع الإلهي الكشي) مع نركال وشورياش مع شمش وماروت (وهو من آلهة العواصف الشديدة في الأساطير الهندوسية، ورفقاء الإله ايندرا وأولاد رودا حامي القطعان وردوراني آلهة المرض والموت) مع نينورتا، وتبين أسماء الآلهة الكشية غرابتها عن المجمع الإلهي البابلي وعلاقتها مع الآلهة الهندية ـ الأوربية.

ومن الآلهة الكشية بكاش، ايندش، بورياش، (سيد البلاد) ساخ، كشو وخربة (طوبق مع انليل) وشوماليا وشوقامونا.

كما أن تعاظم مردوخ وصل قمته في هذا العصر، وتقدم لنا الأسماء المدونة على الأختام ومختلف النصوص كثرة الأسماء التي دخل في تركيبها مردوخ وكثرة رموز هذا الإله وصوره.

وهناك أسماء ذهبت بعيداً في رفعة مردوخ مثل الاسم مردوخ كبيتي ايلاني (اثقل الأرباب وزناً مردوخ) ومردوخ شرا ايلاني (مردوخ ملك الآلهة).

ويبدو أن الكشيين جعلوا آلهتهم أرباباً ثانوية واكتفوا بتصوير رموزها، وهذا غالباً في صور الأختام وأحجار الحدود[2]، وصارت الأختام مليئة

(١) Edwin c. kindsbry, A seven day Ritual in old Babylonalan cult at larsa, heb,. union college Annual, vol 34,(1963).

(٢) الدكتور سامي سعيد الأحمد، فترة العصر الكاشاني، سومر، مجلد ٣٩ (١٩٨٣) ص ١٤٥.

بالأدعية.

شهدت عبادة الإله سن في بداية العصر الآشوري الوسيط اضمحلالاً إذا أخذنا الأسماء الشخصية والنصوص كأدلة بينما صارت عبارة شمش أكثر شعبية.

وبمرور الزمن وتوسع الأمبراطورية انعكست الحال وتعالى نفوذ الإله سن وربما كان لدخول مدينة حران (أحد مراكز عبادة الإله سن وإذ معبده المعروف ببيت السعادات الاي خول خول).

وخلال مدة حكم نينورتا توكولتي آشور (حوالي ١١٤٣ ق.م) كثرت الأسماء المتضمنة اسم الإله سن مع زيادة تأثير الإله مردوخ الذي نعرف عن عدم عبادة الآشوريين له في مستوطنتهم التجارية بآسيا الصغرى[١].

وفي نهاية العصر الآشوري الوسيط بدأ اضمحلال في عبادة أرباب العائلة الخاصة ويمكن استخلاص هذا من تعاظم طقس الربة كوبي التي لا نعرف عن طبيعتها شيئاً، وإن أسماء يدخل في تركيبها كوبي موجودة بآشور ونوزي (في كركوك) منذ العصر الكشي، وهي لابد من إن تكون مهمة خلال القرنين الخامس والرابع عشر ق.م بدليل كثرتها.

وربما يعود السبب إلى توسع الدولة ودخول الآلهة الأجنبية لتحل محل أرباب العائلة القديمة[٢]، وبعد إرجاع الملك نبوخذ نصر الأول لتمثال الإله مردوخ من عيلام الذي حمله العيلاميون بعد سقوط السلالة الكشية

(١). Hiel, A, fine, studies in middle Assyrian chronology and religion, HUCA, VOL. 25 (1954) PP. 124-126.

(٢). Ibid, p. 132.

بدأت رفعة جديدة في مركز الإله مردوخ(١).

ونادراً ما مثلت الآلهة منذ العصر الآشوري الوسيط في الفن موضوعة على قاعدة أو كما في الإله آشور غير منظورة جزئياً في السحب بقرصه المجنح السماوي مما يدل على حدوث تمييز بين الإله نفسه وتمثاله.

وتوضح عمارة هذه الحقبة الاتجاه الديني الجديد إذ وضعت تماثيل الآلهة في المعابد بمحاريب عالية أو على منصات يرقى إليها بعتبات من قدس الأقداس الطويل، الذي يدخل إليه من الجانب مؤكدة بُعد الآلهة عن البشر.

وفي زمن الإله أدد نراري الأول (١٣٠٧-١٢٧٥ ق.م) وضع تمثال الإله آنو أمام تمثال الإله آشور في معبد أدد.

وتضمنت مواد في القانون الآشوري الوسيط عن سرقة نساء من المعابد والعقوبات الواجبة أو عن تفوه نساء بالكفر والهرطقة مما يدل على ضعف الوازع الديني.

ونقرأ عن وجوب قطع حنجرة نساء حرم القصر أن تفوهن بالكفر.

وفي زمن شلمنصر الثالث (٨٥٩-٨٢٤ق.م) زاد الاهتمام بمعبد سن في حران خلال العصر الآوري الحديث بدأ تعاظم الإله نبو ويمكن تتبع هذا التعاظم إلى زمن الملك أدد فيراري الثالث (٨١٠ ـ ٧٨٣ق.م) ابن شمموراماان (سميراميس) الذي وردت في كتابة مكرسة له العبارة (لا تثق

(١) W. lambert, the reign of necuchnezzwr I, Atuming point in the history of. anclent Mesopotamian Rellgion, in the seed of wisdom, essays in hon - our of T,J, Meek, ed W.S. Mccull ough (Toronto, 1964) p. 117.

طالين من الفضة (حوالي ألفي باوند) وهو مبلغ كبير جداً.

وكان الكل يقدمون العشور إلى المعبد حتى الملوك ووردنا نص من عشرة مقداره من واحد فضة قدمه بيلتزار في السنة الخامسة من حكم والده الملك نابونائيد (٦٥٠ق.م).

وجرت العادة خلال هذه الحقبة على تقديم الفقراء ابناءهم وبناتهم والأثرياء والأمراء العبيد إلى المعابد وتبقى للناذر السلطة على من يقدمهم إلى المعبد.

واستمرت عبادة بنو بشعبية بالغة بدليل الأسماء التي منها أسماء العائلة المالكة الكلدانية - ويبدو أن نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م) قد أدرك شعبية نبو فعمل على موازنته مع عبادة مردوخ،ولنا من تسميته أولاده الأربعة أسماء يدخل في تراكيبها اسم مردوخ خير ذليل على ذلك، وعن ضعف الوازع الديني خلال هذه الحقبة لدينا مثال من سرقات كيميللوا المتكررة من معبد عشتار في الوركاء على الرغم من ملاحقة السلطة له في نهاية السلالة الكلدانية وبدء الاحتلال الأخميني.

ونسمع خلال الإحتلال السلوقي عن زيادة بيع الكهنة (الصغار منهم دون شك) لمناصبهم أو تأجيرها لفترة معينة مما يدل على قلة الواردات.

وأدخلت عبادة الإله كاربوس وشيد له معبد في الوركاء وقد يكون وجهاً هلنستياً للإله آنو.

الآلهة في العراق القديم:

اعتقد العراقي القديم بأن الكون حي وجسّم قواه المتعددة في الآلهة دون

أن تكون لإله واحد منها السلطة العليا.

واعتقد بأن الحكم بيد مجلس الآلهة الذي يرأسه الإله آنو بمساعدة أنليل وتتم الموافقة على القرارات بالتصويت.

فعندما أراد الإله أيا، في قصة الخليقة البابلية، ترشيح ولده مردوخ لمنازلة تيامة وخوفاً من معارضة بقية الآلهة لأقتراحه قدم لهم جميعاً الخمر وصوتوا على القرار وهم في حال سكر.

ومهما كانت الوسيلة فقد حصلت موافقة المجلس وترشّح مردوخ.

وأهم الآلهة العراقية هي:

١- آنو: ومعنى اسمه السماء، اللمعان والشروق وتاريخه الأولي غامض، ولم يرد اسمه في الإثباتات الثمانية عشر من العصر السومري القديم وبدأ تعاظمه منذ زمن جودية (٢١٤٣-٢١٢٣) ق.م.

وصارت له بعد ذلك معابد في الوركاء، أور، نفر، لكش، سبار ودير التي سميت مدينة آنو، وكان حيوانه الرئيس الثور السماوي وأطلق الكثير من الملوك والأمراء على أنفسهم اسم أحباء آنو[١]، وأطلق لوكال زاكيزي على نفسه لقب كاهن آنو وورد اسمه من قبل في نصب العقبان لا يأننا توم.

وكان آنو وانليل هما أهم آلهة مجمع الآلهة زمن حمورابي الذي سماه القوي وقد كُرّس شهر نيسان إلى آنو وانليل.

وعلى باب مسكن آنو السماوي يقف تموز وننكيشزيدا.

(١) S.H. Hooke, Bebyionian and Assyrian Rellgion (N.Y., 1953) pp. 24-25..

ومعبد آنو الرئيس (الاي أننا ومعناه معبد السماء) في الوركاء وله معبدان آخران في دير وآشور مع الإله أدد ورقمه السري ٦٠ وهو أعلى رقم بين أرقام الآلهة.

واهتم به الجزريون أكثر من السومريين وسموه العظيم وأبو الآلهة والبشر وشريكته أنتو التي خلط الجزريون عبادتها مع عشتار التي دعيت ابنته.

وتحت زعامة آنو خلق الكون بعد السماء وهو رب السلطة التي يمارسها الملوك.

وكان في باديء أمره إلهاً محلياً لمدينة الوركاء وهو الإله الذي لجأ إلى بلاطه الآلهة عندما حل الطوفان.

ومن اتصال آنو وانتو جاء الانجيجي (آلهة السماء الثانوية الذين يرمز لهم بنقاط سبع) والأنو ناكي (آلهة الأرض الثانوية).

ويظهر أنه حوالي ٢٥٠٠ ق.م اخذ أنليل مكان آنو في زعامة المجمع الإلهي وصار شخصية شبه غامضة ومثلما يظهر اسمه في التراتيل والأساطير المتأخرة إذ انتزع منه أنليل غالب سلطاته[١]، ورمز لآنو وانليل بتاج مقرن موضوع على عرش وكذلك بالنجم الفهد.

ولآنو حاشية تتألف من تسعة آلهة هم انليل، بيليت أيلي، أيا، سن، شمش، أدد، عشتار، نيتورتا ونركال.

وحاشية آنو أشبه بعائلة كبيرة له ففيهم كبير الوزراء مع موظفين من

(١) Samuel Noah Kramer, the sumeridns, (Chicago 1963) p. 117..

الآلهة مثل خدام الخيل الكبار ورئيس الحدائق والمستشارين.

٢- أنليل: وهو ابن نابو وإله العاصفة والجو وسمي أحياناً ملك الآلهة وسيد الريح ولقب بجبل الريح وبيل (السيد) وأخذ لقب سيد الأرض فيما بعد.

ومركز عبادته مدينة نفر إذ معبده (الاي كور ومعناه البيت الجبل) وصارت نفر لذلك، المدينة الأكثر قدسية في العراق القديم.

وصور في الأساطير والتراتيل المتأخرة كإله الخير والليل والنهار العطوف على البشر وإله الخضرة الذي خلق الفأس والمحراث ونظم الكون ويحرس الواح القدر وينفذ أوامر الآلهة ويراقب سير القانون ويعاقب المذنبين ويمسكهم بشبكته.وصورته بعض الأساطير خالقاً للبشر.

وورد في ترتيلة (أنليل الذي لا تتبدل أحكامه، صانع القدر... الذي يحسن أوامر القوى والزعامة والملكية، الذي تسجد له آلهة الأرض خوفاً وتتواضع أمامه آلهة السماء.

نفر المزار إذ يسكن الأب، الجبل العظيم... لا يجرؤ إله على النظر إليه بل إلى حاجبه نوسكو، وبدون أنليل فلا يمكن أن تبنى مدناً أو تستحدث مستقرات أو يتوج الملوك أو يولد الكهنة... أو يكون للعمال مشرف أو تفيض الأنهار أو يلقى سمك البحر سرئاناً أو تبنى الطيور أعشاشاً... أو تنمو النباتات وألاعشاب)[١].

وسماه أحد حكام لكش الأوائل ملك الآلهة واطلق جودية على إله

(١) الدكتور نجيب ميخائيل ابراهيم، حضارة العراق القديمة (القاهرة/ ١٩٦١) ص ١١٧-١٢١.

لكش اسم محارب أنليل القوي وسمي معبد أنليل في لكش، بيت الأب وهناك أدلة عن معبد له في بورسيبا.

وصار الملوك منذ عهد نرام سن حتى نهاية الحقبة الكشية يطلقون على أنفسهم لقب معمر معبد بيل في نفر ورمز إليه بالنجم مارجيدا (العربة وهو الدب الكبير)، وكان ملوك العراق القديم يقدمون إلى معبده حصة الأسد من غنائم حروبهم.

ويمكن تمييز أربعة مراحل في تاريخ هذا الإله، الأولى كإله محلي ثم تحوله إلى إله كبير تقدسه منطقة واسعة ثم صيرورته رب الأرضين وأخيراً بتحول سلطانه إلى مردوخ.

ولم يعط أنليل بالأساطير القديمة ـ التي تكون خلفية أسطورة الخليقة ـ دوراً رئيساً على الرغم من موقفه العدائي للبشر في بعض الأساطير والذي جر عليهم الطوفان، فإن هذه الفكرة لم تبق كما هي بأدلة الترتيلة المذكورة آنفا والأسماء الشخصية التي تتضمن اسمه قبل انليل نراري (مساعدي) وكان ثاني إله مهم في اشور على الرغم من شعبيته في العصر الآشوري القديم.

ودعاه حمورابي لإنزال العقاب بمن يخالف أو يبدل شريعته، ورقم أنليل ٥٠ وشريكته الربة ننليل (وكان اسمها قبل الزواج سود كما تذكر أسطورة، أحبها أنليل عندما رآها في مدينتها أريش عندما كان يفتش هو عن زوج، وقد سكتت عندما عرض عليها الزواج وأرسل الإله نوشكا كوسيط خطبها له من أمها نونبار شكونو وأخبر انليل وسيطة بأنه سوف يبدل اسمها إلى ننليل.

وهناك أسطورة ثانية تذكر اغتصاب انليل لها أولا، ودعيت ننليل بالسيدة (بيليت) أي سيدة الأرضين وكان لها معبد في نفر وآخر في كرزو وعرفت باسم نين خورزاك (ربة الجبل العظيم) وقيل أن هذا اسم زوج أخرى لا نليل.

وسماها أورغو أم الآلهة ووضع انتمينا حاكم لكش مملكته تحت حمايتها.

٣- أيا (أنكي): وهو إله الماء والطقوس المرتبطة به من سحر وفأل، ولقب بالأب وملك الآلهة واسمه أنكي ومعناه سيد الأرض، وهو خالق العالم وسيد القدر، ومعبده في أريدو على ساحل الخليج العربي الاي ابزا (معبد أبزو أي السطوح المائية الجوفية منها والظاهرة) وسمي أيضاً انيكوررا إذ شجرة الكشكانو المفضلة عند أيا، ومن زوجاته مكينا (زوج الأرض والسماء وهي ماخ بالسومرية) وسميت زوج الأمير الكبيرة، ثم زوجه ننكي.

ويعيش أيا في ابسو (الماء العذب وسط الماء) وصورته الأختام جالساً في غرفته تحت الماء وسمي بسيد التعاويذ.

وهو معروف بحبه للبشر الموضح في نصحه أد ايا واخباره اوتو نابيشتم بالطوفان وإيعازه له ببناء الفلك، وهو الذي علم الإنسان عناصر الحضارة كافة من كتابة وبناء وزراعة، ورقمه السري ٤٠، وله مقر في السماء أيضاً ورمزه رأس خروف أو المعزى - السمكة، ولهذا صار زي كهنته عباءة طويلة على شكل سمكة، ويردد الكاهن في التعاويذ القول (السيد البكر أيا ارسلني لأحل تعاويذه الطاهرة في تعاويذي وأحل فمه الطاهر في فمي واحل لعابه الطاهر في لعابي...الخ) ويعلن الساحر كونه أداة الإله أيا،

وكانت تعاويذ طرد الشياطين من صنع كهنة أيا في اريدو، وكان السمك من أضاحي الإله أيا المفضل ومرافقة موممو إله الحرف وتجسم المهارة.

وشيد اورنمو له مزاراً في كرزو، وأطلق أحد حكام لكش على نفسه كاهن أيا ناعتاً اياه بالملهم الكبير، وقدس في مدن كثيرة كأور ولارسة والوركاء، وقدم سنحاريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م) له عندما حمل على عيلام قارباً وسمكة من ذهب رماهما في مياه الخليج العربي.

ومن أسمائه نوديمود (الخالق) ورب حزمة القصب وكرب حكمة صور بإذن كبيرة مفتوحة.

وكان مردوخ قد استنجد بوالده أيا عندما خلق لوللو (الإنسان الأول) من دم تيامة.

وتجعل قصة الخليقة البابلية أيا خالقاً للبشر قريباً منهم يقدم الماء الضروري لحياة كل مخلوق.

ولأيا ابنة هي الربة نبينا ورمزها سمكة في حوض وقد صورت كأخت إلى نيسابا.

وقسم الفلكيون البابليون السماء حوالي مداري السرطان والجدي بين آنو، أنليل وانكي بشقهم طرقاً ثلاثة هي طريق آنو بالوسط (يسير على جانبي خط الاستواء) وطريق أنليل في الشمال وايا بالجنوب[١].

ومن رموز أيا ربما السلحفاة أو رأس كبش على عمود موضوع على عرش مستطيل وتحته الجدي.

(١) E.Dhorme, les religions de babyionie et assyrie (paris, 1947) pp. 60-67..

ويشكل أيا مع آنو وانليل الثالوث العراقي المقدس الأول.

٤- سين: (ننا، موشكي) ويشكل مع شمش وادد الثالوث المقدس الثاني في مجمع الآلهة العراقي وترتبط بهم الربة عشتار.

وسن إله الكلمة والتقويم والعدل والخضرة والسلطة ورقمه ٣٠ وحيوانه المقدس الثور المجنح ورموزه الهلال أو هلال مع صورة بشرية.

ومعابده الرئيسة هي الأي كيشر كال في أور والاي خول خول في حران، الشمال الغربي من العراق ومعبد القمر في تيماء بالجزيرة العربية.

وكان الملوك الآشوريون في العصور المتأخرة يعينون أكبر أبنائهم لكهانة معبد سن في حران وان والدي نابو نائيد (٥٥٥-٥٣٩ ق.م) آخر ملوك السلالة الكلدانية كانوا كهنة لمعبد سن بحران.

كما كان ملوك الجنوب ابتداء من سرجون الأكدي يعينون إحدى بناتهم إلى كهانة معبد القمر في أور.

وتذكر الأساطير كون اب سن مرة الإله نابو واخرى انليل.

وزوج سن هي نيكال (السيدة الكبيرة) وابنتاه شمش وعشتار وولدها نوسكو رب النار.

وصور سن كرجل مسن بلحية متدلية وتاج بأربعة أزواج من القرون يعلوها هلال.

وأطلقت على سن ألقاب عدة أمثال زورق السموات المضيء وذي البزوغ الساطع ورب الثور الوحشي اينسون وسيد العرش وإله النور

الجديد وثور انليل الصغير، وسمي في التراتيل الدينية الأب.

وهو في الغالب من أصل بدوي.

واعتقد العراقيون بمهاجمة أعدائه من العفاريت السبعة المقدسة اياه في الخسوف وعدّوا مدة اختفائه في نهاية الشهر مدة شؤم وخطر.

٥- شمش (أوتو) الذي لابد من إن تكون عبادته بالأصل وتجسيداً لكوكب الشمس، وهو إله الضوء والنهار واليوم والحق والعدالة ومحيي الموتى ومعاقب المذنبين والعرافين، وعده السومريون إله حرب ورقمه السري ٢٠.

واعد ابنة القمر وأحياناً ابنة لآنور وانليل.

وقد صور في الأختام كرجل مسن مع قدم له على جبل والأشعة منبعثة منه أو واقفاً بين جبلين وبيده المنشار واحياناً بقاربه.

وصور كملك جالس على عرشه، وعلى مسلة حمواربي صور كرجل ملتح جالس وعلى يمينه العصا والدائرة (رمز الملكية).

وأهم مراكز عبادته في لارسه وسبار، وكان له معبد في آشور.

وأولاده هما ميشاري (القانون) وكنتو (الحق) ورسوله ميشارا وله ستة قضاة سموهم موظفي الأي بيار (اسم معبده ي سبار ولارسة)[١]، وأدى لوكال زاكيزي بأن شمش قد دعاه لحكم البلاد وأطلق عليه لقب وزير سن.

وقد وصلت إلينا الكثير من الأدعية العراقية لشمش تعدّ من روائع

(١) - G, Rawiinson, concifor, Inscriptions of western Asia, vol, Iv. Pl. 19, no2..

الأدب الديني في العراق القديم منها (أيها السيد، يا مضيء الظلمة، يا فاتح باب السماء، الإله الرحوم، ممغش الرضع وحامي الضعيف الذي ينتظر نوره الآلهة العظام. . . الذي يرى كل البشر كشخص واحد وهم يتطلعون إلى نورك برؤوس مرفوعة)[١].

وشمش قاضي الآلهة وعدّه العراقيون القدامى رمز الخلود الذي يشرق بعد الغروب على عالم الموتى.

وجاء في اسطورة تصور نزول الكوتيين من الجبال (كالطوفان) ونهبهم وتدميرهم المزارع، كون الشمس قد وقفت لا تتحرك في أفقها وهو أمر ذكر العهد القديم ما يماثله.

ونقرأ في ملحمة كلكامش أشارات لسجود الشمس وكواكب أخرى لأشخاص للتدليل على أهميتهم التي تذكرنا بحلم يوسف في العهد القديم.

وفسر العراقيون القدامى الكسوف بهجوم الشياطين السبعة على الشمس وعدّوه فألاً سيئاً.

وكان اليوم الثاني من نيسان زمن الملك آشور بانيبال عيداً خاصاً بشمش حرم فيه الصيد.

وعدّت بعض الأيام المقدسة لشمش ومن رموزه دائرة في وسطها أربع حزم ضوئية تقطعها أربعة مجاري ماء.

٦- أدد: ربما صارت له شعبية خلال العصر البابلي القديم، ويبدو أنه قرن مع إله سومري يكتب اسمه، بالرمز ايم (يلفظ ايشكور) يشير إلى

- E.O. James, The Ancient Gods(N.Y. 1960) P. 78..(١)

الريح، ومن أسمائه سيد الثروة، وزوجه الربة شلش أو شارا.

وأدد إله العاصفة والمطر والرعد والوحي، العارف بالغيب، وكانت أهميته أكثر في شمال العراق منه في الجنوب، وقد صور وعلى رأسه قرون واقفاً على ثور وبيده اليسرى رمزه سلاح الصاعقة وأحياناً مع حيوان خرافي أو اثنين حاملاً سلاحه.

وعرف باسم رمان (المرعد) ورقمه السري ستة.

ودخل اسمه في عشر أسماء الرجال بنصوص العصر الآشوري القديم.

٧- عشتار- اننانا: التي عدّت ابنة وأحياناً أختاً لسن ومركز عبادتها الرئيس الوركاء.

وقد نظر إليها كإلهة أم تصور القوة المنتجة المسؤولة عن عودة الحياة إلى النباتات وقت الربيع، عرفت بأسماء عدة مثل: ما، ننخورزاك، ننماخ، نينتو، اورور، واطلق على ننخورزاك في بعض الأساطير السومرية اسم نيننسيكيل - لا (السيدة الطاهرة) إذ اتصلت بأيا في دلمون وحملت بآلهة عدة خلال مدة حمل دامت تسعة أيام.

وبعد أن ولدت الخضرة سميت سيدة الجبل (نن خورزاك)(١)، وظلت هي الأم المنتجة للحياة ثم أعطيت دموزي كزوج لها والذي يجسم زواجه منها في الربيع عودة الحياة الجديدة.

وقد نظر إلى شولكي ثاني ملك لسلالة أور الثالثة كاخ إلى اننانا الذي

(١) - S.N. Kramer, Inanna and shuligi, A Sumerian dertility American Jornal of. Archaeology, AJA, VOL, 31 (1969) P. 18.

حلت به روح الإله دموزي (تموز).

وهناك محاورة (رما) بين اننانا وأخيها شولكي ابتداها اننانا بشكوى من اختفاء الخضرة[١]، وصارت اننانا ملكة السماء وزوج آنو التي ذهبت إلى عالم الموت لتخليص حبيبها تموز، وصورت الاسطورة دخولها أبواب العالم السفلي السبعة إذ كانت تخلع عند كل واحدة أحد أثوابها وحليها حتى وصلت معبد أختها الربة ايريش كيكال إذ تحولت إلى جثة هامدة، ولما استبطأها رسولها نين شوبور أخبر آنو الذي خلق كائنين غير متميزي الجنس أرسلهما إليها مع طعام وماء الحياة الذي رشّوه على جسمها فدبت بها الحياة وعادت إلى الأرض جالبة تموز الذي سلمته إلى العفاريت بعد ذلك لتعيده إلى العالم السفلي لأنه لم يميزها في عالم الأموات[٢]، ورقم عشتار السري ١٥ ورمزها النجمة ذات الثمانية أو الستة عشر ضلعاً ضمن دائرة.

وعرفت أيضاً كإلهة مخازن الحر وزوجها دموزي أمو شو مكال أنا رب النمو والحياة الجديدة في النخلة.

واسمها الفلكي دلبات ونقرأ كيف أن آنو أمر الآلهة أن تمنح عشتار لقب عشتار النجوم لأنها أكثر الكواكب لمعاناً وهي عشتار الوركاء بصفتها نجمة السماء وعشتار أكد لكونها نجمة الصباح.

وصورت كربة حرب ربما لأول مرة في صور قصر وملك ماري من بداية القرن الثامن عشر ق.م.ووصفها حمورابي بآلهة المعارك.

---

(١) S.N.Kramer, sumcrisn mythoiolgy, (Philadelphia, 1944) pp. 83 ff..

(٢) الدكتور نجيب ميخائيل إبراهيم ص ١٣٠-١٣٤.

وقد صورت وعلى رأسها تاج تعلوه النجمة وعلى يسارها سيف، تقف على أسد وأحياناً تمسك بيسراها القوس وتبارك بيمناها الناس، وسميت ببوة الايجيجي وكربة حرب سميت أنونيتوم (سيدة المناوشات)، وعرفت برعايتها للموك واختيارها لهم فأخبرنا سرجون الأكدي بأنها أختارته للملك وذكر آشور ناصربال الثاني (٨٨٤-٨٥٩ق.م) بأنها تلقفته من بين الجبال واعتنت به لحكم البلاد.

وهي ربة ولذة ولذلك ارتبطت عبادتها بالعاهرات المقدسات اللواتي كان في معابدها بيوت خاصة لهن.

واطلقت الأدعية على عشتار الأم الرؤوم وربة الآلهة وملكة العوالم وأم البشر والآلهة وخالقة البشر وعشيقة وزوج الآلهة العظام التي تحدد أقدار البشر.

وكان لها معابد في كيش، بابل، نينوى، آشور، وعرفت بسيدة عيلام.

وكان لعشتار أربيل موح مهم طالما استشاره الملوك الآشوريين المتأخرون، وأطلق الآشوريون على عشتار اسم الآشورية(١).

٨- مردوخ: وقد تعاظم زمن سلالة بابل الأولى.

وربما اسمه أمار أوتو (جاموس الشمس الصغير السن) أو ابن الشمس الحديثة السن.

وكان كأساللوخي في الأصل رب الزخات المطرية لمدينة كوثار قرب أريدو، ويذكر في النصوص السحرية مقروناً مع أبيه أيا.

(١) Hooke, op. cit. pp. 26-26..

وفي الكثير من التعاويذ يرد جواب أيا لولده مع أبيه أيا.

وفي الكثير من التعاويذ يرد جواب ايا لولده مردوخ (يا ولدي أي شيء لا تعرفه؟)

ماذا تريد أن أعطيك أكثر؟

يا مردوخ أي شيء لا تعرفة؟[١].

التي تدلل على عظمة واعتراف أيا بعلمه الغزير.

ويستنجد الساحر بمردوخ كثيراً في التعاويذ السحرية لتخليص زبونه من قبضة العفاريت وهو الذي قتل تيامة ـ تجسم الشر ـ في قصة الخليقة وخلق البشر من دمها، والكون والأرض من جسمها.

ومردوخ هو الذي يلفت نظر أيا في التعاويذ لوجود الشرور، ويسمى أحياناً مارودكو (ابن المسكن الطاهر).

وأخذ عن والده أيا العلوم والسحر وصار الإله الذي يشفي الأمراض ويحيي الموتى وصور بالإله الراعي بين الإلهة بعيونه الأربع وأذانه الأربع، ورمز إليه بعمود وقمته على شكل حربة أو بعمود فوقه مخروط صنوبر.

وصورت نصوص من العصر البابلي القديم كما ذكرنا بعض آلهة كأوجه له، وكوكبه الخاص المشترى وصور وعلى رأسه تاج مخروطي عال مزيّن بالورد، يخرج منه الريش بلحية طويلة وشعر متدلٍ وراءه وثوب طويل تزينه النجوم ويده اليسرى إلى صدره ماسكاً برمز القوة (عصا وحلقة) وقربه

(١) M.Jastrow, the civilization of babyionia and Assyria, phiiadelphis, 1915 p.. pp. 220-21.

حيوانه الخاص الموشروسو (معانه بالسومرية التنين المقرن).

ومردوخ إله الخير والعمران وزوجه صاريا نيتدم (الوضاءة كالفضة أو خالقة النطفة).

ومعبده الاي زاكيلا (المعبد ذو الهيكل أو العتبة العالية، البيت العظيم).

وكان لزوجه هيكل خاص في هذا المعبد ببابل يسمى (الاي يو دول) ولقبت بأكثر النجوم لمعاناً ودلبات أيضاً.

٩- نبو: (ربما معناه اللامع) وهو الإبن البكر لمردوخ ورب القلم والكتابة والمعرفة والكلمة وأمين سر مجلس الآلهة ومعبده الرئيس الاي زيدا (البيت المكين أو معبد الإخلاص) في بورسيبا يزقورة أطلق عليها اسم بيت القادة السبعة للسماء والأرض.

وكوكبه السماوي المريخ ومن ألقابه الذي يسعد بورسيبا ويسجل الأقدار.

وزوجه تشميتوم (العبقرية) وسميت زوج ابن سيد الآلهة وملكة بورسيبا وأميرة الأزيدا.

وزوجاه الأخريان نانا ونيسابا (نيدابا) ربة الحبوب ومشتقات الحليب وإلهة الكلمة والكتابة.

ويذكر نبو في الأدعية دوماً مع أبيه مردوخ، وكأنه يستجيب للأدعية،

وقد صور بأذنين كبيرتين واقفاً ويديه على بعضهما، وعلى رأسه تاج مقرن ولحية مسترسلة إلى صدره وعينان واسعتان.

وهناك دعاء للملك السلوقي أنطيو خوس سويتر (٢٨١-٢٦١ق.م) بمناسبة تعمير معبده في بورسيبا يخاطبه بالسيد العظيم والرب الكبير بين الآلهة العظام الذي يقدر أحداث السموات والأرض بقلمه[1]، وأن الكتابة المكرسة إلى أدد نراري الثالث التي ذكرناها تؤكد بأنه الإله الوحيد الذي يمكن الثقة به التي ربما تعد أول صوت بالتوحيد نعرفه الآن.

١٠- نركال: (معنى اسمه سلطة المدينة الكبيرة) وعرف باسم ميسلا مترا (الذي قدم من مسلام) وهو إله العالم السفلي ورب المرض والمعارك الدموية.

وزوجه ايرشكيكال إلهة العالم السفلي التي سميت سيدة الأرض العظمى.

ويذكر نص من الحقبة الكشية زواج نركال من ايريشكيكال إذ دعيت هي إلى مأدبة أرسلت لها نيابة عنها ولدها نمتار (القدر)، وعندما وصل الأخير إلى الحفل قام الآلهة المدعوون احتراماً عدا نركال الأمر الذي ضايق ايريشكيكال فاستدعته إلى قصرها في العالم السفلي مما أخاف نركال، ولكن المقابلة انتهت بزواجهما.

وزوجات نركال الأخريات هن ماميتوم وماما (مامي) ولاز (العاقر).

وكان نركال في الأصل إله شمس، وتذكر النصوص مرة كونه ابن انليل

(1) Dhorme pp. 38-44, Hooke, p. 32..

وأخرى ابن أيا ـ وعهد أنليل إلى نركال رعاية المخلوقات، ويعتمد آنو عليه بمعاقبة المدن الثائرة على أحكام السماء، ومركز عبادته مدينة كوثر (تل إبراهيم قرب جبلة) التي عرفت باسم مدينة الأموات.

ومن رموز نركال الصولجان برأس الأسد أو الثور أو التنين أو الغراب أو عمود برأس أسد.

وكان له مركز في معبد أنليل بنفر ومعابد في شمال العراق وماري.

وإن رسول ايريشكيكال هو الإله نامتار نذير الموت الذي يمكنه إطلاق ستين مرضاً على البشر.

ومن الآلهة المرتبطة بنركال هو الإله ابرا، وعرف الإله نناز وكابن إلى ايريشكيكال ولو أن نصوصاً أخرى تجعله ابن انليل من نينكزيدا ابنة انكي[1].

١١- آشور: عبد في الشمال وربما يكون هو الإله الذي أشير إليه في قصة الخليقة بالتعبير السومري أنشار.

وآشور إله جزري ربما له علاقة بالإله الجزري الغربي أشار.

تصاعدت عبادة آشور زمن سلالة أور الثالثة إذ خصصت المدن الآشورية أمكنة لعبادته وألحقت به الآلهة ننليل كزوج.

ولقب بالجبل الكبير وسمي معبده في آشور بمعبد الجبل للأقاليم الجبلية أي (خورزاك كوركورا).

(١) Jacobsen, Mesop, Religion, p. 32..

وعند الآشوريين هو أبو الآلهة خالق الكون والبشر ومقرر مصير الكون.

وربما يكون معنى اسمه في الآشورية الملاحظ، وهو إله الآشوريين القوي، وأخذ دور مردوخ في قصة الخليقة الآشورية فصار هو قاتل تيامه وخالق الكون والبشر، وقد صور برأس عال عليه القرون وفي يد الصولجان والحلقة وباليد الأخرى عصا الرماية ويقف على حيوانين خرافيين (ثعبان وأسد) وأحياناً على حيوان برأس أسد وجناحين.

ورمزه الدائرة المجنحة أو كرة يظهر منها الإله بقبعة ذات قرون أو قرص الشمس المجنحة والإله في قسمها الأعلى وهو يضرب أو يمسك سهماً من قوسه، وترتبط مع رمز آشور الشجرة المقدسة رمز الحياة والمرفقة أحياناً بعبادته، وزوجه الربة شروا.

١٢- نينورتا (اينورتا) وهو ابن آخر لانليل ونقر عنه لأول مرة ـ كما نعرف الآن ـ زمن سلالة أور الثالثة إذ كان مرتبطاً بأخيه نينكرزو، ورقمه السري رقم والده أنليل نفسه (٥٠)، الذي أعطي أيضاً إلى أخيه نينكرزو وكرس له معبد الخمسين (الاي نينو) في لكش.

وقد سمي نينورتا بعاصفة أنليل، وكان رب أخصاب يسيطر على الزرع والفيضانات وصار في العصور الآشورية المتأخرة إله المعارك ومستشار آنو وانليل.

وهو رب صيد مثل نركال، لذا نشاهد رايتيهما على عربات الملوك، ورمز إليه برأس حصان موضوع على كرسي وفوقه قوس، وكذلك بعمود فوقه رأس أسد، أو رأسي ثور.

وتصوره بعض التراتيل الدينية بأوجه تتضمن آلهة عدة (وجه السماء وعيناه أنليل ونتليل، وذقنه عشتار.. وشفتاه آنو وانتوم، وأذناه أيا ودمكينا، وجمجمته شالا ورقبته مردوخ..) وله زوج تطلق عليها المصادر اسم نن ـ نبور (سيدة نفر) التي طوبقت مع كولا زوجه الثانية الطبية التي تحيي حتى الموتى. . . وقد ظهرت صورتها في حجر حدود من العصر الكشي جالسة على عرش وأمامها الكلب حيوانها الخاص.

وهناك آلهة كثيرة أخرى منها الربة بابا (باو) آلهة مدينتي أورو كو وايسن وسيدتهما وهي زوج نينكرزو.

وكانت تقدم لها هدايا العروس بعيد رأس السنة وعليها حراسة بيت الحريم في معبد زوجها بلكش وهي آلهة شفاء أيضاً.

وكان لنينكرزو ولدان هما كال أليم وشول شاكا ولكل منهما أجنحتهما وتماثيلهما في معبد أبويهما، وكان الأول مسؤولاً عن حفظ الحق ومكافحة الشر والثاني عن السكائب والقرابين والوجبات التي تقدم لوالده ورعاية بيت الأطفال.

وزوج نينكرزو الأخرى كانت نين كرراك آلهة الشفاء.

ومن الأساطير الخاصة بنينورتا أسطورة لوركال أي التي تصوره كإله أشبه بالملك الشاب والقائد في الحروب وتشرح حربه مع ملك الصخور والنبات ومع الوحش أساككو في الجبال وانتصاره فيها ثم تشييده الخورزاك وهو حاجز صخري لتنظيم الري في سومر سلمه بعد ذلك لأمه..

وأعقب انتصاره على الوحش حكمه على الصخور والأحجار وتعيينه وظائف كل نوع.

وتصف أسطورة أخرى رجوعه إلى نفر بعد انتصاره في المعركة[١]، وكانت رموزه المحراث ثم الأسلحة وقد امتزجت به شخصيتا انشوشياك آلهة الشوش وزباب رب كيش.

كان الأرباب كيبيل (كيررو) ونوسكو وايشوم آلهة نار عند العراقيين القدامى الذين قدسوا النار وعدوها ربة خير وسمي كيبيل بالسيد الذي يشعل القصب.

وصور كإبن لأبسو (الذي يحمل النور مكان الظلمة ويحبط خطط السراق ويصهر المعادن).

وهو مرتبط مع أيا إله السحر وهو الإله الذي يستعين به الساحر المرتبط بشمس وسمي أيضاً كيسيار رسول الآلهة الذي يستنجد به في التعاويذ لطرد الأرواح الشريرة.

وهناك طقس نار يتألف من مراسيم لحرق التماثيل المصنوعة من مواد مختلفة أو الرمي إلى النار بمواد كالبصل أو التمر أو الصوف أو بذور أو طلع النخيل مع قراءة بعض العبارات السحرية كيما تحرق العفاريت أو تجبرها على الخروج من جسم المريض[٢].

وتلحق بالنار وبهذا الإله المقلو والشوربو.

يمثل نوسكو النار المتحولة إلى بخور يسر الآلهة، وهو الوسيط بين البشر والأرباب.

(١) M. Jastrow, Die Reiiglon Babyioniens and Asyriens, (Giessen, 1912)vol, I.. 305 ff, II, pp. 328 ff.

(٢) Dhorme, pp. 109-112..

وعرف بالمضيء ليلاً، ورمز إليه بأحجار الحدود بسراج وزوجه سدرنوننا، وصور كإبن إلى سن ونينكا ويتقاسم معهما الأقدار، وعدّ مؤسس المدن نظراً لدخول النار في صنع الطابوق وسبك المعادن، وخوطب في إحدى التعاويذ كمرشد الآلهة والأمراء ومعاقب الرجل القاسي والمرأة الشريرة.

وكان ايشوم من آلهة العالم السفلي وعرف بالعصور المتأخرة كشفيع للموتى عند الإله نركال لدى دخولهم عالم الموتى[١].

عد النهر إلهاً ودخل في تراكيب الأسماء الشخصية منذ العصر البابلي القديم، أمثال (الإله النهر أبي)، و (الإله النهر عظيم) ثم الآلهة نانشة ابنة اينكي وزوج نيدرا وربة الطيور المائية في الأهوار التي تسكن في القنوات وهي آلهة نينا (في منطقة لكش) التي صورت كسمكة ولها القدرة على تفسير الأحلام والاهتمام بالعدالة.

وبنتها نينمار آلهة مدينة كويبا قرب لكش على حافة الأهوار والخاصة بالطيور ورمزها الطير وهي أخت نيسابا آلهة أيريك قرب الوركاء وربة أومما وزوج خاني رب الكتابة.

ثم الإله شارا إله أومما وابن اننا وزوجتيه نين أوررا والربة نينكشزيدا (سيدة كيشزيدا الشجرة المنتجة).

والإله كيشزيدا رب مدينة كيشبندا قرب أور وحامل العرش في العالم السفلي.

---

(١) E Solberger, corpus des inscriptions, royal presargonique des Lagash,. (Geneva 1956) p. 58.

ويبدو أنه كان رب الشجرة وصور كحية ملتوية وهو ابن ننازو إله الاطباء وكان إله خصب يموت ويبعث حياً مثل تموز الذي كان رفيقه عند باب السماء وصور برأس ذي حيتين تخرجان من كتفه ولحيته طويلة وعلى رأسه التاج.

أما الإله دموزي أبزي (تموز) ابن أيا ورب مدينة كينيرشا قرب لكش ومعنى اسمه (مسرع الصغير في رحم الأم العميق) ويمثل قوة الخصوبة وكرب صيد واعتقدوا بموته في الصيف إذ يصبح أحد آلهة عالم الأموات ويعود إلى الحياة في الربيع . . . ووصلت إلينا الكثير من التراتيل إليه منتزعة من جوانب معينة من حياته وأعماله كحبه لعشتار ورعايته للحقول والمراعي وموته وعودته للحياة ليعيد الحياة إلى الأرض وهو الجوزاء بين كواكب السماء ومن ألقابه الثور.

ومنذ العصور الأولى ارتبطت عقيدته بأننانا وعرف باسم أبزو أي الإبن المخلص لأبزو[١]، واعتقد آخرون أن هذه الإله رب مستقل عن تموز (دموزي)[٢]، وقد وصل إلينا اسم تموز ملكاً مرتين الأولى لمدينة باد بتيرا إذ عرف باسم اما اوشو مكال، الذي هو أحد ألقاب الإله تموز وأعطاه الإثبات السومري للملك رقماً خيالياً وهو ٣٦٠٠ سنة ثم كملك من سلالة الوركاء الأولى ويعطي الإثبات لحكمه مدة مائة سنة مع الإشارة إلى أنه أصلاً صياد سمك من مدينة كوا.

وربما كان تموز بالأصل ملكاً لباد بتيرا رفع إلى مصاف الآلهة لأعماله

(١) O.R.Gurney, Tammuz Reconsidered, Jourmal of semitic studies, Jss, vol. 7. (1962) pp. 147-160.

(٢) الدكتور فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة تموز، (بغداد ١٩٧٣) ص ٣٩.

الجليلة التي لم تصل إلينا أخبارها بعد إضافة اختيار كهنة الوركاء له كزوج لأننانا في طقوس الزواج المقدس[1].

وصور في بعض الأختام وهو يظهر والأغصان تنمو من جوانبه وأعضائه وملابسه وفي أخرى جالساً على عرشه ممسكاً بغصن وخلفه معزى.

ومن الآلهة الأخرى أنشان وهي ربة خصب عبدت في لكش وارتبطت بالحنطة ورمز لها بحبة قمح.

ثم كشتين أننا (شجرة عنب السماء أو خمر عنب السماء) التي صورت كأخت لتموز.

ثم سموقان إله الحقول والأغنام ووزيرة ايدين موكي (ساكن الحقل) ولم يضحو له خرافاً لرعايته لهم.

والربة ننسون آلهة كوللاب في الوركاء التي ذكرتها ملحمة كلكامش كأم لكلكامش وسمتها نصوص البقرة الطيبة وجعلتها أماً لجودية.

والإله ننخار رب كيابريك إله الرعد والمطر في منطقة لكش وهو ابن انانا وزوج نينكارا آلهة الزبدة والقشطة.

والإله شا كان إله الماعز ورعيها ابن اوتو من زوجه شنيردا.

والإله دكان وهو رب عموري كان ذا شعبية في الغرب وعرف في ماري بملك البلدان وكان يعبد في توتول (هيت) وحانة (عانة) وهو الذي سجد

(١) Dhorme, pp. 166-167. Hooke, p. 47..

إليه سرجون الأكدي عند وصوله توتول ووردتنا أسماء كثيرة دخل في تكريبها اسمه.

وذكرت رسائل ماري أسماء رجال أدعوا كونهم مبعوثي (أنبياء) الإله دكان.

ودخل اسمه في تركيب اسم مدينة بوزريش دكات (دريهم قرب عفك) ومنذ سلالة أور الثالثة أخذ نفوذه يتغلغل إلى جنوب ووسط العراق فدخل في تركيب أسماء ملكين من سلالتي ايسن - لارسة هما ايددين دكان وايشمه داكان.

وكرس كونكونوم ملك لارسة نذراً له وقدس منذ القدم في بلاد آشور.

تغلغل الإله عمورو منذ سلالة أور الثالثة وفقد أهميته في العصر الكشي وتلاشى في بداية العصر البابلي الحديث.

ولقب أولاً بإله الجبال وربما لقب الجبل الكبير القادم من الغرب.وزوجه آشراتو(١).

المعابد العراقية:

إن المعلومات عن أصل المعبد العراقي قليلة، وهناك مخطط لمزار بسيط على رقيم صوري من كيش وآخر على نحت نافر يصور كوخاً من القصب يقف على حزمتي قصب هما رمز اننانا، وقد يكون الكوخ مربطاً للأغنام

(١) جان بوتيرو، ترجمة الدكتور وليد الجادر الديانة عند البابلين (بغداد ١٩٧٠) ص ٤٨.

المقدسة وهنا أقدم صورة نعرفها الآن لبناية مقدسة[1].

فالسومريون الأوائل كانوا يضعون تماثيل آلهتهم في قوارب أو سلال أو أكواخ من القصب[2].

وإن السكان قد خصصوا جزءاً من مستقرهم للعبادة وتشير الآثار المعمارية إلى وجود مزارات في مواقع عصور ما قبل التاريخ كالاربلجية والوركاء.

وكان وضع أول حجر في بناء المعبد مهماً وتوضع بعد أن تسمح بالزيت وتحاط بماد ثمينة ويعدّ وضعها حدثاً مهماً إذ تحط وسط مراسيم خاصة يحضرها كبار مسؤولي المدينة.

وكانت المعابد العراقية مقسمة على قسمين أساسين هما المعبد العالي (الزقورة) والمبعد الأرضي.

وليس من الضروري أن يكون للمعبد زقورة، وكان معبد أريدو خلال عصر العبيد يتألف من صحن مستطيل بمذبح ومنصة لتمثال الإله محاطة بغرف صغيرة والجدران مشيدة بطلعات ودخلات.

والمعتقد بأن المرتفع الاصطناعي الذي شيد عليه المعبد الأبيض في الوركاء من العصر الشبه الكتابي يمثل طلائع بد المصبوغ في موقع العقير من الحقبة نفسها.

---

(١) A. Lec Oppenheim thc Mesopotasmain Temple The biblical Archaeologist. Reader eds, G. Emest Wright and. D. Freedman, (New York, 1961) pp. 158 ff.

(٢) H.W.F. SAGGS, THE Greatness that was Babyion (New York 1962) pp.. 356-357.

وربما كانت أول زقورة في الشمال هي التي شيدها الملك شمشي أدد الأول حوالي سنة ١٧٨٥ق.م. وقد يكون في المعبد أكثر من زقورة.

والزقورة عبارة عن بناء مشيد من اللبن تغطى من الخارج غالباً بالطابوق المربع الشكل.

وهي بناية تتألف من ٣-٧ طوابق فوق بعضها الواحدة أصغر من الأخرى وفي الأعلى معبد صغير (الشالكورو) أو غرفة الانتظار التي لم يعثر على أي بقايا منها.

وترك الكتاب الكلاسيكيون وصفاً لزقورة بابل كما وصل إلينا وصفاً لها دونه بابلي اسمه آن وبيل شونو من سنة ٢٢٩ق.م.

وذهب الباحثون المحدثون مذاهب شتى في تعليل سبب بناء العراقيين للزقورة، فقال بعضهم أنها تمثل الجبل الكوني أو قبر الإله الذي يموت ويعود إلى الحياة ثانية.

واستند آخرون إلى حقيقة كون الاصطلاح كيكونو الذي أطلق على الزقورة وبعض المباني الأرضية يعني أيضاً غرفة دفينة تحت الأرض.

ولكن ليست كل الآلهة المرتبطة معابدهم بزقورات هم من الذين يموتون ويبعثون إلى الحياة الثانية.

ورأى آخرون أن الزقورة هي تاج الرب معتمدين على مقاطع وردت في سفر أشعياء (١٣ : ١٤) من العهد القديم.

كما عدت الزقورة مذبحاً على أساس وصف سفر حزقيال (٤٣ : ١٣-١٧) لمذبح كزقورة صغيرة.

والراجح أن الزقورة تمثل سلماً من السماء إلى الأرض لاستعمال الآلهة، والاستراحة القصيرة في المعبد العالي منها مثل دخوله المعبد الأرضي.

ويجعل باحث الزقورة ليست فقط مكاناً لراحة الإله بل أن هناك طقساً كان يمارس فيه وبذلك تكون الزقورة مذبحاً كبيراً.

وفي داخل المعبد قرب قاعدة الزقورة هناك مقدس الرب الرئيس وعدد من المصليات الصغيرة الخاصة بالآلهة المرتبطة بها.

وخارج هذه المصليات ساحة واسعة يجتمع فيها الناس خلال الأعياد.

وهناك غرف لوضع المعدات (الملابس، الآلات، الموسيقية، ووسائل النقل) مع مكتبة خاصة بالمعبد.

والزقورة أما مستطيلة الشكل كما في الوركاء وأور ونفر أو مربعة كما في بابل وبورسيبا ودور كوريكالزو وآشور.

وكانت المعابد الأرضية على خطط شتى وتحوي على مزار ومذبح وكلها ذات جدران بطلعات ودخلات.

ويقرر موقع المذبح في المزار الخطة وكان المزار (قدس الأقداس) في معابد الجنوب منذ نهاية العصر الأكدي عريضاً يواجه باب المعبد.

أما مزار المعابد الشمالية فكان طويلاً ومدخله خلال باب في إحدى الجدران الطويلة مع مذبح في نهاية الغرفة(١).

(١) Samuel N. Kramer, symerian religion, in. v. ferm, ed. Forgotten rell - gions. (N.K. 1965) P. 52.

ووضعت تماثيل المتعبدين على مصاطب حجرية أو على الأرض.

وأخبرنا جودية عن جمال المعابد التي شيدها وأثاثها الفاخر.

وتمثال الإله مصنوع عادة من الخشب ومغطى بقشرة من الذهب وعند قدميه أوعية للزهور ومباخر.

كما وضعت حول المزار وفي المابين مصاطب واطئة لتماثيل الآلهة الأخرى وما يقدمه المتعبدون من النذور ومذبح للأضاحي ومنضدة للوجبات المقدسة ومشجب للأسلحة والإشارات الدينية.

وضمّ القصر في ماري مزاراً مفتوحاً للكل ويوصل إليه بعد سلسلة من الغرف والممرات وزينت جدران مزاره بألواح جصية ملونة وصلت إلينا منها صور دينية مثل صورة ثور يجر للتضحية وملك ماري يتسلم صولجان الملك من يد الآلهة عشتار.

وفي المابين منصة واطئة كان يوضع عليها تمثال الإله وربما كان تمثال الربة حاملة الإناء الفوار الذي وجد مطروحاً على الأرض قريباً منه.

وهناك سلم في إحدى نهايات المزار يؤدي إلى فجوة عالية مع مرتفع في النهاية الأخرى أعدت لجلوس الملك خلال المراسيم الدينية.

الكهانة:

كان الملك في بلاد بابل وآشور هو الكاهن الأعلى وممثل الآلهة على الأرض.

وأطلق حكام لكش على أنفسهم لقب أنسي (وكيل الرب) الذي يوضح

العلاقة بين الإله والعاهل وسمى جودية نفسه كاهن نينكرزو وتلقب لوكال زاكيزي يقلب كاهن نيسابا الأعظم.

ومن الصعب معرفة بدء منصب الكاهن، ففي إناء الوركاء النذري من العصر الشبه الكتابي نشاهد رجالاً عراة يقدمون الأضاحي في الغالب أنهم كهنة، ولم يكونوا منحوتين مما قد يدل على عدم ممارسة الكهنة،في الغالب العراقيين جميعاً للختان.

وربما كان الملوك في البداية كهنة، فكان لقب كلكامش في البداية ابن (أكبر الأعظم) ثم الملك.

وكان انيتارزي قبل اعتلائه عرش لكش كاهنا والمعروف عن أورنانشة أول حاكم على لكش أنه كان عرافاً بالأصل.

كان الكهنة في العراق القديم ينقسمون بصورة علامة على أربعة أقسام أساسية:

١- أصحاب المراتب الرفيعة (السانكا)، ومنهم الحبر الأعظم (الاينو) وهو رئيس المعبد والكاهن الأعلى الذي يسكن الكيبار من المعبد ويتم اختياره بطقوس خاصة ويعد تعيينه في منصبه حدثاً ذا أهمية.

وهنالك كاهنة عليا (اينتوم) تسكن الكاكوم يعمل تحتها الكثير من الكاهنات[١].

ووضعت قوانين حمورابي عقوبات صارمة لمن يتصل بها أو إن ظهرت بأماكن غير لائقة، وهي العنصر الأنثوي في الزواج المقدس، والويل

(١) Dhorme pp. 51-52, 205-209..

للمجتمع إن هي اتصلت برجل.

ولها الحق بالزواج دون سماح بالإنجاب بل يمكنها تبني أطفال.

وظل الملوك العراقيون يعينون بناتهم لهذا المنصب ابتداء من سرجون الأكدي حتى نابونائيد.

ثم الرئيس (الماخو) وربما كان كهنة الشابرا (المسؤول عن الأمور المالية) والشادو (المشرف على أراضي المعبد) والكاكورو (المشرف على مخازن حبوب المعبد) من كهنة هذا الصنف.

٢- كهنة القداس في الاحتفالات ومنهم الاوريكاللو (معناها حرس) وهم المسؤولون عن بوابة المعبد وفتحها بقراءة طقوس مصحوبة بتلاوة تراتيل معينة.

٣- الكهنة المختصون وهم على أصناف عديدة:

أ- المطهرون ومنهم المنظفون (الرامقو) الذين يعملون في بيت الوضوء (بيت رمقي) وهو أشبه بحوض تعميد ربما حوى ماء من دجلة والفرات، ويعاونه المضحي (النياككو).

ب - المدهنون (الباشيشو) ويقومون بالتدهين.

ت - المشمشو والاشيبو المختصون بالتعاويذ وطرد الشياطين من جسم المريض والحماية من القوى الشريرة، والأشيبو هو المسؤول عن المبدأ المعروف بالتعويض كأن يأخذ حملا وَيضعه إلى جانب المريض في فراشه ثم يمرر سكيناً خشبية على رقبة المريض يحز بعدها رقبة الحمل بسكين نحاسية ومن ثم يلبس الحمل ملابس المريض ويبكي عليه ويقدم لأجله الأضاحي

الجنازية إلى الآلهة أيريش كبكال وبعدها يردد العبارة (الأخ الأكبر تموز هو أخيه) والمفروض أن يشفى المريض بعدها وبذلك يكون أشبه بطبيب نفساني، وعلى المشمشو أيضاً تنظيف الصولجان والحذاء المقدس قبل أن يؤخذا إلى البقعة الطاهرة، وهو حامل المشعل في عيد النار ويرافق القصاب الذي يقطع رأس الثور في عيد الأكيتو، ويمارسون أعمالهم أمام رموز الآلهة أو تماثيلها بمشاركة الصناع (المار اوممانى).

ث ـ الكالو، المسؤولون عن تلاوة التراتيل والأناشيد المقدسة والغناء بمصاحبة الموسيقى خاصة الطبل اليدوي والطبل الكبير.

ج ـ النار، ومهمتهم الندب والبكاء سواء على الآلهة (تموز) أو الأفراد[١].

٤- المختصون بطقوس الأسرار الإلهية ومنهم العرافون (البارو) الذين كان لهم تأثير على الدولة بما يقدمون للملوك من نصح وغالباً ما كانوا يرافقون الحملات.

ويدخل ضمنهم مراقبو الطيور كوسيلة للفأل ثم الشائيلو والشائيلتو (مفسرو الأحلام) والزقيقو (المتنبيء).

ويستخدم البارو عدة وسائل منها فحص كبد الحيوان المضحى أو أحشائه أو كليته إذ يعرف من اتجاهات أوردة الكبد إرادة الآلهة بالقياس على نظائر مدونة أو سلامة أو تهشم الكلى أو باتجاهات الطيور أو ملاحظة قطرات الزيت عند سكبها في كوب ماء.

(١) Sags, p. 348, Dhorme, pp. 211-213..

ثم الكوكارو والايشنو التي قد تكون من اوطأ المناصب الكهنوتية، ويرتدون ملابس نسائية في مناسبات خاصة، وقيل إنهم كانوا رجالاً تم اخصاؤهم ليشاركوا في طقوس الربة عشتار، وقيل إنهم قد يمثلون البشر غير المتميزي الجنس الذين خلقهم الإله أيا كيما يدخلوا عالم الأموات ويخرجوا منه بحرية(١)، أو إنهم كانوا ملحقين بالمعبد (معبد عشتار بصورة خاصة) لممارسة الجنس مع الراغبين(٢).

ومن كاهنات المعبد هناك الناريتو (معناها العقيمة)، ويمكنها الاقتران دون حق بالإنجاب.

وكاهنات الزيكوم وهن نساء بملابس رجال ولا يسمح لهن عند الولادة بإبقاء أطفالهن أو الاعتراف بهم.

ثم العاهرات المقدسات، ويعشن في مخدع خاص بالمعبد.

وقد ألحق بكل معبد من معابد عشتار عدد من النساء (عشتاريتو) اللواتي نذرن أنفسهن لمطالب الآلهة، وهن على ثلاث درجات هي الحبيسات، وبنات اللذة، والعاهرات.

ومقر كاهنتهن الرئيسة في الوركاء إذ المعبد الرئيس لعشتار.

ثم المنذورات اللواتي نذرن أنفسهم لخدمة المعبد.

وأعطي الحق لكاهنات الكولماشيتوم والشاكيتوم اللواتي يخدمن المعبد وحجاجه بالاقتران والاحتفاظ بما ينجبن.

---

(١) Contenan, p. 196..

(٢) الدكتور فاضل عبد الواحد علي، ص ٧٥.

الطقوس الدينية:

كان العراقي يقوم بجملة شعائر دينية كالصلوات وتقديم الأضاحي، والاحتفال بالأعياد الدينية، واستشارة الفأل، وطرد الشرور والشياطين من الأجساد والبيوت.

وكان غسل الأيدي واجباً قبل البدء بأي مرسوم ديني.

وهناك الكثير من التراتيل الدينية التي كانوا يتلونها في معابدهم، أو أدوا صلوات بصورة منفردة بصحبة الكاهن.

وقد وصلت إلينا نماذج من أوضاع المصلين وهم راكعون أمام تماثيل الآلهة.

وكانوا يرفعون اليد عند الدعاء ولهم صلاة توبة كما أحرقوا البخور وسكبوا السوائل المقدسة وكانت لهم أدعية لكل الآلهة.

كانت للعراقيين القدامى أعياد فصلية كثيرة كما يمكن استنتاجه من أسماء الأشهر، فبداية كل شهر قمري يكون العيد وكذلك الأيام ١٥،٧ وآخر يوم من الشهر.

وأهم الأعياد هو عيد رأس السنة (الأكيتو)، الذي يجري فيه الزواج المقدس بين الملك ممثلاً الإله تموز وكاهنة تمثل عشتار، وترجع أهم نصوص هذا الزواج إلى عصر سلالة أور الثالثة.

وكانت مراسيم هذا الزواج تقام في المعبد وتحت اراف الكهنة ويتم زواجهما في الكيبارو إذ يعد فيه للعروسين سرير من خشب الأرز مطعم باللازورد، وعند وصول الملك بموكبه إلى المعبد يأخذه الكاهن من يده إلى

حجرة الكاهنة العروس وهي في أجمل حللها وزينتها ثم تنشد أغنية تدعوه إلى وصالها، ثم يتصل الملك بالكاهنة والذي هو محاكاة طقوسية لزواج ربة الخصب أننانا من تموز.

وتختتم طقوس هذا الزوج باحتفال ومأدبة يقيمها الملك في القصر على شرف الكاهنة زوج الطقسية، ثم تمر جموع الناس من أمام المنصة إذ يقف الملك معها وهي تصفق وتهتف لهما مع عزف الموسيقى.

كان عيد رأس السنة يستغرق أثني عشر يوماً (بقدر عدد أشهر السنة).

ويبدأ في اليوم الأول من نيسان (حوالي ٢١ آذار بتقويمنا) وهو يرمز إلى الصراع بين القوى الطبيعية وانتصار العناصر المولدة للحياة في الربيع، وانتصار آلهة الخير على أرباب الخراب في الكون ممثلة في فوز الإله مردوخ على قوى الشر التي تزعمتهم تيامة.

وتتركز طقوس العيد على مراسيم تموز الذي نعرف عن موته في الصيف وإقامة الناس مواكب العزاء والمناحات والحزن الجماعي على فقده.

وكانت مواكب الحزن على الإله تموز المتوفى تبدأ في الثاني من تموز إذ تقام مراسيم البكاء وتحمل فيها المشاعل وكذلك في الأيام، ٩، ١٦، ١٧ من تموز.

وبالثلاثة أيام الأخيرة منه يجري الاحتفال بطقوس التاكملتو يجري خلالها عرض ودفن طقسي لدمية تمثل تموز المتوفى[١]، وما عيد الاكيتو إلا

(١) F. Thureau - Dangin, Rituals accadiens, (paris, 1921) pp. 127-154. Hooke, . - pp. 103 ff.

الدكتور محمود الأمين، الأكيتو أو أعياد رأس السنة البابلية وعقيدة الخلود والبعث

الاحتفال بعيد قيامه وقهره للموت في ربيع السنة الجديدة.

ومما يؤسف له أن النصوص الخاصة بعيد الأكيتو غير كاملة.

وكان يحيا في الوركاء أور بالخريف والربيع، وتقام احتفالاته في مكان خاص يسمى بيت الاحتفالات (الاكيتو) يقع خارج المدينة قرب قناة أو على نهر نهراه في الوركاء وآشور وبابل، ولكل يوم منه مراسيم خاصة، ويظهر أن عيد الأكيتو كان معروفاً في أور ولكش واومما خلال العصر الأكدي وشاع الاحتفال به في العصر البابلي القديم.

ويظهر أن الإحتفال به في الأصل كان في مدينتي نفر وأور خلال أشهر آذار (عيد البذر) وأيلول أو تموز (عيد الحصاد).

وخصصت الأيام الأربعة الأولى من عيد الأكيتو لتقديم الأضاحي وتعيين محلات الكهنة في الحفلات وواجباتهم.

ويقوم الكاهن الأعلى (الشيشكال) بوضع ثوب جديد ربما أبيض على تمثال مردوخ.

وفي اليوم الثاني يمثل الشيشكال أمام مردوخ (بعد ان يسدل ستارة أمامه) ليقرأ ترتيلة مطولة في مدحه وقوته ثم تفتح أبواب المعبد ويدخل السادن (الايريب بيتو) ومعه الكاهن المختص بتراتيل قصائد العزاء ويتبعه كاهن آخر ينشد الترانيم الدينية، ويستمر بإقامة الصلاة أمام مردوخ وزوجه حتى الصباح، وقبل خروجهم من هيكل مردوخ يؤدون شعائر

بعد الموت، مجلة كلية الآداب، مجلة (١٩٦٢) ص ١٥-٢٧، الدكتور فاضل عبد الواحد والدكتور عامر سليمان، عادات وتقاليد الشعوب القديمة (الموصل ١٩٧٩) ص ١٧٩-١٨٣.

خاصة لتاج الإله نبو، ثم يصلون بعدها ثلاث مرات إلى مردوخ.

وفي اليوم الثالث يؤم الكاهن الأعلى بالصلاة إلى مردوخ بالإشتراك مع بقية الكهنة.

وبعد مضي ثلاث ساعات على شروق الشمس يدعو الشيشكال حداداً ويسلمه عدداً من المجوهرات وكمية من ذهب خزانة مردوخ لصنع تمثالين لاحتفالات اليوم السادس، ثم يدعو نجاراً ويعطيه قطعة من خشب الأرز، وبعدها يقدم كمية من الذهب إلى صائغ يستدعيه.

ويلزم أن يكون طول كل تمثال سبعة أشبار، الأول من خشب الأرز والثاني من خشب الأثل وعليه أربعة درر وذهب بزنة أربع مثاقيل.

ويحمل كل تمثال في يساره ثعباناً ويرفع اليمنى بتحية للإله نبو، ويحمل الثاني بيسراه عقرباً ويرفع اليمنى بتحية إلى نبو، ويلبس التمثالان أردية حمراء ويتحزمان بسعفة ويوضعان حتى اليوم السادس في بيت الإله مادان ويقدم لهما الطعام من سفرة هذا الإله، على أن يكونا جاهزين في اليوم السادس لإجراء مراسيم الغفران أمامهما.

ويقدم الشيشكال أمام تمثال هذا الإله كل يوم قطعاً من لحوم الغنم المضحاة فيعطي الإلية إلى الحداد والصدر إلى الصائغ والفخذ للنجار، والأضلاع للحائك.

وتعاد مراسيم الصلاة في اليوم الرابع كالتي أديت في الثالث، ويصلي الكاهن الأعلى وهو بملابس كتانية بعد الاغتسال بماء النهر للإله مردوخ وزوجه قبل شروق الشمس بأكثر من ثلاث ساعات، ثم يخرج إلى فناء المعبد بانتظار ظهور نجوم خاصة مقدسة حتى يبدأ بقراءة ترتيلة خاصة.

وفي مساء هذا اليوم يبدأ بقراءة أسطورة الكليفة البابلية بلحن شجي مؤثر، ثم يفتح باب المعبد ويدخل جميع الكهنة لتأدية ما عليهم من الطقوس الدينية ويتلوهم الكهنة النادبون.

وفي اليوم الخامس وبعد صلوات وقراءة تراتيل يرش المعبد بالماء والزيت المقدسين، ويذبح كبش ويتلو الكاهن الرقى والتعاويذ خلال عملية مسح الجدران برأس الكبش المضحى للتخلص من أرواح الشر.

ثم يرمي كاهن الرقى والقصاب رأس الكبش وجثته في النهر آخذين معهما أرواح الشر.

ويعمل النجارون في هذا اليوم منصة في المعبد تسمى (السماء الذهبية تكريماً لزيارة الإله نبو من بورسيبا.

ثم يدخل الملك إلى معبد مردوخ ومعه الكاهن، وعندما يقف في حضرة مردوخ يتركه الكاهن وحده، ثم يدخل عليه الكاهن ويخلع عنه التاج وشارات الملك ويضعها على منضدة أمام تمثال مردوخ، ويقرأ الملك اعترافه (لم أذنب يا سيد البلدان ولم أكن مهملاً لألوهيتك، لم أخرب بابل ولم أسبب لها الهوان، لم أخرب الايزاكيلا وأهمل مناسكه..).

ويجيبه الكاهن (لا تخف ولا تحزن، أن مردوخ سيسمع صلاتك، ويوسع سلطانك، ويعلي من شأن ملوكيتك، وينصرك على أعدائك ومناوئيك)، وهنا يدنو الكاهن من الملك ويصفعه على وجهه ويعرك أذنيه ويرجع له ما انتزعه من شارات الملك بعد أن يلطمه، والمعروف أنه كلما كانت اللطمة شديدة بحيث تؤدي إلى توجع الملك إلى الحد الذي تدمع معها عيناه كانت فألا حسناً للسنة القادمة وتؤدي إلى رضا مردوخ.

وفي مساء اليوم نفسه يشارك الملك في إقامة طقوس معينة في ساحة المعبد إذ تحفر حفرة في الأرض وتحضر حزمة مكونة من أربعين قصبة تربط إلى سعفة ويشدون إلى جوار الحفرة ثوراً أبيض اللون ثم يشعل الملك والكاهن النار في الحفرة بعدما يحفر الثور ثم يتلى دعاء خاص.

وطيلة مدة وجود الملك داخل المعبد يجتمع الناس في الخارج وهم في قلق وهلع إذ يعتقدون أن الإله أسير في العالم السفلي ويزداد قلقهم لتجريد الملك من صفته الرسمية إذ صار المجتمع آنذاك دونما سلطة.

ويتراكض الناس في الطرقات صارخين، وربما يقفون في صحن المعبد وخارج البلدة قرب معبد الاركتو وربما تروح عربة مردوخ وترجع خالية في طرقات المدينة حداداً، وربما تمثل تمثيلية لعشتار وهي تنوح على الإله المفقود.

يأتي الإله نبو في اليوم السادس من العيد لزيارة والده مع آلهة والده لتخليصه من أسره في عالم الأموات، وفعلاً يثأر نبو لأبيه ويخلصه من أسره.

وينزل نبو خلال إقامته في بابل في هذا العيد بالمزار الخاص به من معبد الايزاكيلا.

ثم ترد إلى بابل آلهة المدن البابلية الأخرى مثل نفر، الوركاء، كيش وكوثا الخ.

وعند نزولها من سفنها ببابل تؤخذ في موكب مهيب بشارع الموكب مارة من باب عشتار شمالاً باتجاه معبد الاكيتو برفقة الملك وهو إمام موكبها الماء المقدس.

وكان الملك الآشوري خلال هذا اليوم يمثل الإله نينورتا الذي ينقذ آشور من أسره.

وعند وصول نبو إلى بابل تقتل بعض الخنازير الوحشية في أحراش القصب القريبة رمزاً لقتل آلهة الفوضى والعماء ثم يقطعون رؤوس التماثيل المزينة بالجواهر.

وتمثل في اليوم السابع تمثيلية حزينة تصور موت مردوخ وعروجه إلى السماء، إذ يجرح الإله، في هذا اليوم ويموت ويخرج الناس يبكون مفتشين عنه.

وتسود في هذا اليوم الفوضى نتيجة فقدان الإله وتشد عربة بحصان هائج يركض في شوارع المدينة على غير هدى، ويسلم الحكم إلى أحد الغوغاء الذي يلتف حوله عدد من الرعاع يحكم طول النهار كيفما يشاء ويظل عابثاً حتى غروب الشمس إذ ينزل عن العرش وتؤخذ منه إشارات الملك التي تعطى إلى الملك الشرعي الذي يجلس على عرشه وسط تهاليل الشعب، وفي هذا تعريف للناس بأهمية الحكم المنظم وانتصار مردوخ على تيامة.

تدب في اليوم الثامن الحياة ثانية في مردوخ ويعود معه كل شيء فيجتمع الآلهة في مخدع الآجال بمعبد مردوخ لتعيين أقدار السنة الجديدة.

ويقف الناس خلال هذه الاحتفالات بهدوء في الخارج خشية تعكير صفو جلسات الآلهة في مجلسهم فيحل الشر بالعالم.

وفي اليوم التاسع تسير تماثيل الآلهة في استعراض كبير من معبد الايزاكيلا مارة بشارع الموكب فباب عشتار وتعبر الفرات إلى معبد الاكيتو.

وربما كانت تجري في هذا اليوم تمثيلية تصور الحرب بين آلهة النظام والخير وأرباب الشر والخراب.

يحتفل في اليوم العاشر مردوخ بالاشتراك مع الآلهة الأخرى بانتصاره وزواجه من صار بانيتوم وتقام وليمة خاصة بالمناسبة في معبد الأكيتو ويعود بعدها مردوخ إلى معبده للاقتران بعروسه وهو الزواج المقدس الذي يمثل فيه مردوخ وزوجه في المخدع بأعلى الزقورة.

وفي اليوم الحادي عشر تعود الآلهة للاجتماع في معبد الايزاكيلا لتأكيد آجال البشر، أما اليوم الثاني عشر فيحتفل بعودة الآلهة إلى مدنها[١].

كان عيد الاشيشو يقع في الأيام ١، ٧، ١٥ من كل شهر، وصار يحتفل به أكثر في العصور المتأخرة.

وكان عيد عشتار نينوى يقع في شهر كانون الثاني وعيد عشتار أربيل في آب.

كان المتعبدون يقدمون الأضاحي إلى الآلهة في المعابد وأكثرها شيوعاً الماعز كما يستدل من صور الأختام الأسطوانية (وربما للونها الأسود وكثرة حركاتها علاقة التي تجد ما يسوغها في عبارات من العهد القديم)، فالآلهة، كما نقرأ في قصص الخليقة، خلقت البشر لتقديم الطعام والشراب والزيت والملح لها.

وتتألف الطقوس اليومية من غسل واكتساء وإطعام تماثيل الآلهة في المعابد وحول المزارات على مناضد ذات دكتين الأولى لوضع اصص

(١) Hooke, pp. 56ff..

الأوراد عليها والثانية للطعام والشراب الذي يقدم يومياً.

وتقدم كل يوم الموائد الموقدة التي يحرق فيها البخور ويرش الكاهن المختص تمثال الإله كل يوم بالماء الطاهر(١)، وكان قصاب المعبد هو المؤهل الوحيد لذبح الأضاحي، التي كانت تتألف من ثيران وماشية وماعز وغزلان وخنازير وسمك وأنواع الطيور، وفي صور ختم نشاهد متعبداً يحمل لبوة كأضحية.

ويظهر أن بعض الآلهة العراقية كانت تسرها الأضاحي البشرية، فقد ذكر آشوري اسمه أبلا سنة ٦٩٨ق.م في عقد إنه إذا نقض البائع البيع فإن إبنة الأخير الكبرى تحرق بخشب الأرز على شرف الربة بيليت صيري.

وفي عقد بيع آخر جاء (أن إبنة الأكبر أو ابنته الكبرى ستحرق على شرف الربة بيليت سيري بتوابل ممتازة).

ونقرأ في عقد آخر عن تضحية الابن البكر إرضاء للإله أدد وفي آخر عن تضحية خيول بيضاء إلى الإله نركال وتقديم قوس إلى الإله نينورتا.

وذكر ايأننا توم أن الثيران كانت تضحى إلى الإله شمش في لارسة والعجل إلى انليل وكونه قد ضحى أربعة طيور حمام إلى الإله أنزو ونوعاً من السمك لإلهه الخاص.

وقدم جودية تيناً قرباناً إلى الإله.

وقدمت القرابين إلى تماثيل الأحياء والأموات من البشر ونعرف عن

(١) Thureau- Dangin, op, cit. pp. 64-86, A.Leo Oppenheim, Ancient Meso-Potamia, (Chicago, 1964) p. 188.

شخص وضع القرابين أمام تمثاله الخاص وقدمت القرابين إلى تماثيل أور نانشة وجودية المتوفين.

كانت الموائد تقدم إلى الآلهة مرتين في اليوم وبالعصور المتأخرة أربع مرات.

فهناك وجبة عند فتح المعبد، وثانية ليلاً قبل غلق أبوابه، وهناك إشارة إلى وجبة غداء[١]، وتتألف كل وجبة من الأكل الرئيس والمآكل الثانوية وهي تختلف بالكمية المعروضة والأنواع المقدمة فيها.

وكرس ريموش خليفة سرجون الأكدي أطعمة يومية إلى مائدة الإله شمش.

وإن الأطعمة التي كانت تقدم في الموائد تتألف من العسل والسمن والحليب والتمر والتين والخضروات مع اللحوم الخ.

وهناك مآكل محرمة على آلهة معينة، والتناول من مائدة الإله مفتوح للكل ويرسله منه إلى الملك...

ونستنتج من عبارة أنه ماء (مقدس) أنه يرش على متناولي الطعام من إناء وضع فيه تمثال الإله[٢]، ويتم اختيار الحيوان المضحى حسب شروط من العمر واللون وسلامة الأعضاء حتى إن كانت ملقحة أو مطعمة علفاً أو حشيشاً.

وهناك الأضاحي الملكية وأخرى للمتعبدين وثالثة ليلية أو تقدم في أيام

(١). . Ibid, p. 189

(٢). . Dhorme, pp. 239-240

معينة من الشهر (عندما يكون القمر بدراً أو قبل ظهور الهلال بيوم) أو تعويضه عن شخص مريض عند مرضه نتيجة غضب الآلهة عليه.

وتستلزم مائدة الإله تهيئتها وتنظيفها بعد الأكل وإعطاء الفضلات ثم تقديم الحلوى والخمر والدبس مصحوبة جميعها بحرق الأعشاب الذكية الرائحة وشعل المشاعل، ويطهر الكاهن الأعلى المعبد ويطهر معبد نابو بالأعشاب الطيبة الرائحة والشعلة والماء المقدس.

كما نقرأ عن طقس اعتراف إلى الآلهة منها واحد في اليوم ٢٥ من آب[١].

إن الطقس المهم الآخر هو طقس فتح فم الإله وغسل فم الإله إذ اعتقدوا أن بوساطة أي منهما تعطى التماثيل الخاصة بالإله الحياة.

وتتوافر تفصيلات عن الطقس الثاني الذي بانتهائه يعتقدون أن روح الإله تحل بالتمثال الجديد للإله، فيغسل الإله في يوم طيب الفأل بأن توضع جرتان مملوءتان بالماء المقدس في موضع التمثال ثم قطعة قماش حمراء أمام الإله وأخرى بيضاء إلى جانبه، وتعقب هذه تقديم الأضاحي إلى أيا ومردوخ ثم يبدأ غسل فم الإله مع تقديم الأضاحي إلى ذلك الإله بالوقت نفسه وأن يردد الشخص ثلاث مرات (أنت إله ولدت بالسماء من رياحها) و (ومن الآن يجب أن تذهب أمام أبيك أيا).

وبعدها يقود الكاهن بيد الإله كبشاً وهو يردد (في خروجك في خروجك قادماً من الأيكة) وعند الخروج من موضع صنع التماثيل يجب

(١) Sidney Smith, The Babylinian ritual for consecration and induc-tion of a divine statue, Jornal Royal Asiatic so., (1926) pp. 47 ff.

أن تتقدم المشاعل تمثال الإله حتى شاطيء النهر إذ يوضع التمثال على حصيرة من القصب ووجهه نحو الشرق وتحت مظلة، وهنا تقدم الأضاحي ثانية إلى مردوخ وايا واله التمثال، ثم تسكب أحسن أنواع البيرة مع الطعام ويسلخ جلد الكبش ويوضع فيه سمكة وسلحفاة من الذهب والفضة وفأس برونزية، وملقط نحاسي يرمونها كلها في النهر مع ترديد القول (ليأكلك الماء العميق) ثم (ليأكلك أيا ملك الماء العميق).

وبعدها تقدم سكيبة من البيرة واللبن والدبس ويبدأ غسل فم الإله ثم يضعوا الأضاحي ويحمل التمثال إلى بستان ويوضع على حصيرة من القصب وهو مغطى بقطعة كتانية ووجهه نحو الغرب أمام الكاهن الأعلى.

ثم تقدم أضاح أخرى ويرفع صاحب الطقس يده ويدعو إلى الإله أيا ثم يضع ماء في سبعة أوعية يضعهن في المزار وتحوى المواد الخاصة التي تستعمل لعملية غسل فم الإله كالأثل وسبعة أعواد من الأرز وقطعة قماش وملح وصمغ الارز ودهون وأحجار كريمة وزبد ودبس وتقدم في اليوم نفسه الأضاحي إلى آلهة أخرى مثل سن وعشتار الخ[١].

أساطير الخليقة:

شغل خلق الكون والإنسان فكر العراقي القديم وترك أساطير عدة فيها تضمن معتقداته التي تمتاز بعدم الثبات والاختلاف فيما بينها.

وعلى رأس هذه الأساطير قصة الخليقة البابلية (عندما في العلى) التي نظمت لتقديم تفسير كوني لتعاظم مركز مردوخ.

(١) Alexander, Assyrische - babyionische mythen and open, (Barlin, 1900-pp.. 38-43.

في البداية، كما تنص الأسطورة، لم يكن سوى العماء الذي انبثق منه عنصران، تيامه (انثوي) وأبسو (ذكري) ولد من اتحادهما مومو ثم عدد من الآلهة مثل لاخمو ولخامو وأنشار وكيشار، وقد ولد للأخيرين آنو والآلهة الأخرون.

ولما أغاظت الآلهة الجديدة الجيل السابق من الأرباب صممت الأخيرة على التخلص منها، وعندما علمت الآلهة الشابة هاجم أيا الإله أبسو وسجن مومو وقاده من خيط ربطه بثقب في أنفه، فتعاظم اسم أيا الذي نسل مردوخ.

ولما كبر الأخير ظهرت أزمة جديدة بين الجيلين نفسيهما من الآلهة وأثار كينكو زوج تيامة الجديد زوجه التي نصبت على الكون وسلمت إليه ألواح القدر وباءت جهود أيا وآنو في ترضية تيامة بالفشل، واجتمع الآلهة في مجلسهم الإلهي وشرح أيا ولده مردوخ لمنازلة تيامة وزوجها وجيشها من العفاريت والحيوانات الضارة وزود مردوخ بأسلحة فتاكة وكل القوى السحرية الضرورية.

ودخل مردوخ المعمعة وتهيب من أول نزال مع تيامة وعاد إلى والده الذي قدم إليه أسلحة أكثر فتكاً، منها شبكة تمسكها الرياح الأربعة، فحمل على تيامة وقتل كينكو وأخذ ألواح القدر ثم مسلك تيامة بشبكة وقتلها بسهم أصاب قلبها، وخلق من نصف جسمها السماء ومن النصف الآخر الأرض ثم الحيوان والنبات ومن دمها البشر، ولهذا صار الإنسان مندساً به عنصر شر لأنه خلق من دم آلهة شريرة.

ثم نصب مردوخ بقية الآلهة في مراكزهم السماوية وأمر القمر أن يقرر

للكل الأشهر والأيام والشمس أن تخلق الليل والنهار[1].

تضمنت قصة الخليقة الأخرى المعروفة بقصة أريدو خلق مردوخ للإنسان بمساعدة الآلهة أرورو بأن وضع قصبة على وجه الماء وخلق طيناً وضعه في القصبة.

ثم خلق الحيوانات ودجلة والفرات والنباتات والأراضي والأهوار[2].

وتؤكد هذه القصة حقيقة كون انتصاب القامة عنصر مميز للجنس البشري.

تجعل أسطورة سومرية الإله آنو خالق السماوات وأيا خالق القصب والمياه الجوفية والمهن والجبال والبحار وآلهة أخرى والكاهن الأعلى ثم الملك والجنس البشري.

وإن تأكيد رفعة مركز الكاهن الأعلى الذي تعمد كتابته مدون النص واضح، يليه بالأهمية الملك وكلاهما حسب الأسطورة هذه من جنس متميز، ثم خلق البشر[3].

وجعلت قصة سومرية أخرى الآلهة كافة قد تعاونت على خلق الكون والسماء والأرض ثم المخلوقات ومنها البشر[4].

---

(١) - p. Jensen, Assyrische - babyionische mythen and open, (Barlin, 1900-pp.. 38-43.

(٢) - H. Weissbach, Babyionisshe Miscellen, (Leipzig, 1903) pp. 32-34..

(٣) R.W.Rogers, cuneiform papaliels to ofld Twstament, (N.Y. 1926) PP. 50 ff..

(٤) S. Langden. Sumerican opic of paradise, the Flood and the Fall of Man -. (Phiiadeiphia, 1915) pp. 25ff.

تؤكد تعويذة ترق للعصر البابلي القديم بأن الربة مامي قد خلقت البشر بأمر أيا والآلهة الآخرون، وقد خلقته مامي من الطين الذي مزجته بدم إله مذبوح.

وفيها يبرز الطين كعنصر مكون للإنسان مع دم إله مذبوح وبذلك يتضمن الإنسان عنصراً مقدساً.

وتذكر أسطورة أخرى أن الإله مردوخ أخذ شيئاً من التراب وخلق منه بالتعاقب البشر وحيوانات الصحراء ونهري دجلة والفرات ثم الزرع وفروع القصب والغابة والحيوانات وبناء البيوت والمدن لاسيما الوركاء ونفر.

وفي أسطورة أخرى جاء (عندما خلق آنو السماء وخلق أيا الماء وهو محل سكناه، وأخذ أيا من المحيط شيئاً من الطين خلق منه على التوالي (الإله صانع الطابوق) (الإله الخاص بالقصب) (الإله النجار) (الإله الحداد) (الإله الصائغ) و (الإله قاطع الحجر) وأمرت هذه الآلهة ببناء المعابد وخلق أيا رب الخمر وشجرة العنب من أجل تكاثر قرابين المعبد ثم خلق الكاهن الأعلى لعبادة الأرباب الكبار ثم البشر)[1].

ثم أسطورة دودة وجع الأسنان (عندما خلق آنو السماء وأنتجت السماء، وخلقت الأرض الأنهار وخلقت الأخيرة القنوات التي أتت بالأهوار منتجة الدودة).

ومثلت الدودة أمام الإلهين شمش وأيا باكية وسمح لها الأخير بالسكن بين الأسنان ومص دمها وأكل لحم اللثة)، وتصور هذه الأسطورة خلق

(١) - A. ungnaf, Die erllgion der babyionier und Assyrer, (Jena, 1921)..

العناصر الطبيعية المهمة وتفترض وجود الإنسان الذي سلطت الدودة على أسنانه.

ورد في نص طقسي صنع الآلهة الأم نينتو في كيش لكائناً بشرياً ذكراً بشكل نينورتا وكائناً أنثوياً يقابله.

وورد في نص آشوري الأمر بذبح إله مزدوج الجنس اسمه لامكا وخلق البشر من دمه.

وتعطينا أسطورة عن خلق الآلهة آنو، انليل وشمش لشخصين ذكر وأنثى هما أوللي كاررا وزال كاررا ووضعت إشارة إله أمام اسم كل منهما مما يدل على أن أبوي الإنسان الأولين قد عدّا آلهة.

ونقرأ فيها إلى وضع القدر حلالاً بعد خلقهما وقبل خلق الإنسان[١].

وتجعل أسطورة أخرى الأرباب آنو، أنليل، أيا وننخورزاك مسؤولين عن خلق البشر وكل المخلوقات[٢].

وتخاطب ترتيلة النهر بأنه خالق كل شيء[٣].

ذكر بار حوشا المؤرخ البابلي من القرن الرابع والثالث ق.م في قصة الخليقة التي يرويها، والتي تتفق كثيراً مع قصة الخليقة البابلية، إنه لم يكن في البداية سوى السماء والماء ويطابق الماء مع امرأة يسميها أوموركا ويقول

(١) W.King, Legends of Babyion and Egypt in relationto Hebrew tradition. (London, 1918) pp. 49-58.

(٢) E. Eceling, Berossos und die babyionischer kohelef (Berlin 1924) pp. 19ff..

(٣) paul Schnabel, Berossos und die babyionische hellenistische liter - atur,. (Leipzig, 1923) pp. 138, 177-178.

إن معناها البحر ويطلق عليها أيضاً الظلمة، ويذكر أن الإنسان خلق من دم إله ممزوجاً مع التراب[١].

كان الكون بنظر العراقي القديم في غاية التنظيم بواجبات موزعة بين مختلف الآلهة تحت سلطة رئيس أعلى وقد خلقت البشر لخدمتها وتقديم الأضاحي لها.

ولكل شخص ربه الحامي الذي يدفع عنه الأذى ويأخذ بيده، وأوضحت قوانين حورابي أن العدالة حق من حقوق الفرد وفسروا المرض بهجوم عنصر شر على الإنسان بأمر الآلهة لارتكابه ذنباً طقسياً أو خلقياً أدى إلى ترك ربه الحامي له.

وعكست قصة التقي المعذب من أواسط الألف الثاني ق.م.شك الفرد في إرادة الآلهة التي لم تعطه الجزاء الوفاق لتقواه.

ويستنتج مؤلف القصة أخيراً أن سر الآلهة دفين فقد يكون الصالح لنا طالحاً بنظرها خاصة وأن أمزجه البشر سريعة التبدل.

وتوضح المحاورة التشاؤمية من الحقبة نفسها الشك في القيم الاجتماعية والمعتقدات الدينية وسخرية بالقيم والآلهة لم نلحظها من قبل[٢].

السحر والعرافة:

اقتنع العراقي القديم بأن الكون مليء بالعفاريت الطيبة والخبيثة.

---

(١) W.Lambert, Babyionina Wisdom Liferature, (ozford, 1960) pp. 85 ff..

د. وليد الجادر، المحاورة التشاؤمية، الأقلام ج١٠ (١٩٦٩) ص ٥١ وما بعدها.

(٢) Kurt selingmann the mirror of Magic (Cambridge, mass, 1948) pp. 23-31..

والأخيرة هي أولاد آلهة الشر الذين دحرهم مردوخ أما الطيبون فهم أبناء آنو وانليل وأيا وتميزوا بأجنحتهم.

والخبيثة أكثر عدداً بكثير من الطيبة، وصوروهم كوحوش مخيفة أو كائنات بأشكال مرعبة وهم في جماعات منهم الاوتوككو الأشرار المعروفون أيضاً بالسبعة غير المتميز الجنس.

ونقرأ عن كونهم قبيلة ومعهم عفاريت كثار منها الأشباح والناموتو (عفريت المرض) وأحياناً تكون أصواتهم أشد من عضتهم وهم يدخلون البيوت والاسطبلات لإحلال الأذى والقتل.

وهناك سبعة آخرون يفتكون بالرضع ويؤخرون ولادة النساء.

ثم العين الحاسدة التي لا يسبب تأثيرها أي خير.

أما الأشباح فهي أرواح الموتى الذين ماتوا ميتة عنيفة، أو عاشوا على الأرض بتعاسة، أو الموتى الذين لم يدفنوا بصورة صحيحة.

وكان لهذه العفاريت أسماء عدة منها ما يحمل معاني القوة أو القبض مثل الأوتوككو، الألو، الشيدو والعالو.

أو ذات صفة خاصة مثل الأحنخازو (الماسك)، الرابيصو (المنتظر)، اللاباسو (الداحر) والليلو وأنثاه الليلتو (الروح الليلية).

وأعطوا لكل هذه أوصافاً مختلفة كالقساة والطائرين بالفضاء.

وهناك الأدمو وهي بنظرهم أرواح الموتى التي تركت أجسامها الأصلية بعد الموت وصارت تنزل الضرر بالأحياء.

ثم عفاريت النامرتو الخاصة بالطاعون والأمراض الخبيثة.

وتعيش الأوتوككو في المقابر والصحاري والجباري، والعالو عفاريت غير متميزة الجنس تقطن الخرائب والأماكن الخالية، والرابيصو ترهب الناس في الليل، وتتغلغل الأساكو في أجسام الناس، وتهاجم الأخازو واللابارتو واللاباسو الأطفال في الغالب، أما الليلو فهو عفريت نصفه بشر والآخر شيطان، وهم ذكور دونما أناث ولذلك يؤذون النساء، ويقابلهم الأردات ليلي وهن أناث بلا أزواج ويلاحقن الرجال لإشباع رغبتهن منهم والأضرار بهم.

ومن العفاريت الايطمو الخاصة بأمراض الرأس والحمى.

ولكن رأس الشر عند العراقيين كانت تيامة التي قتلها مردوخ بأمر الآلهة.

وربما يكون أساس اعتقاد العراقي بقوى الشر والشياطين عامة عدم ثبات بيئته وتغيرات محيطه، كالفيضانات المدمرة بالربيع والحرارة الشديدة صيفاً والرياح الرملية وملوحة التربة وتوحل طرقه نتيجة المطر شتاء.

فقوى الشر لم تترك، برأيه، حتى القمر الذي هاجمته الآلهة السبعة الشريرة وسببوا خوفه.

لذا ولع العراقي بالسحر وعمل التعاويذ التي صنفها الباحثون المحدثون إلى الشريو والممكو المستندة إلى الحرق ثم الاوتوككيَ ليمنوتي والاشاككي مرصوتي وسلسلة لابارتو.

وتتمكن الآلهة، بنظر العراقيين، أن تبعث إشارات طبيعية واعتيادية

بشرية لتنذر الناس عن أحداث مقبلة كالبرق والصقيع والمطر وحتى تكسر الأثاث ولدغة النحلة وسقوط فرد من العائلة من مكان مرتفع الخ.

وأطلقوا على هذه اسم الأصوات النبوية (الأشابوت) التي يتمكن الآشيبو من تفسيرها[1].

هناك أوامر ضد السحرة منذ زمن جودية، وفرضت القوانين الآشورية الوسيطة وقبلها شريعة حمورابي عقوبة الموت على ممارسة السحر الضار (الاسود).

وعرف الشخص قاريء التعويذة الساحرة في مجموعة مقلو بأنها (التي يسكن في قلبها شفائي ويولد من لسانها خرابي ويتأصل على شفتيها سمي ويقف على آثار قدميها الموت) وبذلك فقد عزا إلى السحرة (الذين أغلبهم من النساء بدليل كون معظم التعاويذ موجهة اليهن) جلب الكثير من الأمراض والشرور.

وأعتمد العراقيون على الآشيبو لتخليصهم وشفاء المرضى، وعملوا لكل مناسبة رقية، وكان السحرة يلتمسون في تعاويذهم الإله أيا ثم ابنه مردوخ.

وكان السحرة الذين يسببون الأمراض والمآسي، بنظر العراقيين، بصورة عامة أجانب، لأن السحر الرسمي كانت تشرف عليه الدولة وهو ديني غايته الخير.

وكانت التعاويذ والطقوس الدينية كثيرة صنعت لشتى المناسبات،

(١) E. Ebeling, Tod und Leben nach den corstellungen der babylonler - (Lepzig, 1931) pp. 76-78.

فاللون والعقد والدائرة والتطهير بالماء ثم النار كانت أموراً مهمة.

واقتنع العراقي بأن كهنته قد خصتهم الآلهة بهبة اختراق الغيب ومقاومة الشر فصار بوسعهم التنبؤ بوجود هذه القوى بواسطة عناصر عدة وعلامات فأل كثيرة وتسخيرها لخدمتهم.

والسحر العراقي القديم تدريب عملي مستقل ذو حدود ومبادىء وتطبيقات خاصة وليس نظاماً كونياً يحكم ويسير جميع فروع المعرفة.

فالسحر العراقي غايته دفاعية، ولم يمنع القانون إلا الضار منه الذي يستخدم للشر وإنزال الأذى.

ويطلب الساحر معرفة اسم مريضه فيستخدم اسمه ويمثله بالشكل.

ويلفظ الساحر (الآشيبو أو المشمشو) التعويذة (الشيبتو)، مستمداً قوته من كونه ممثل الآلهة التي ترعى السحر ثم يتلفظ كلمات الطقس الخاص بالتخلص من العفاريت وهو بملابس حمراء (اللون الذي تهابه العفاريت) أو جلد مثل السمكة لتأكيد صلته بأيا فيستعين بالآلهة على تخليص مريضه وإخراج العفريت.

ويصحب الطقس بعض الأعمال الرمزية التي منها حرق مواد تشبه الأرواح الشريرة وحل العقد التي يتصور الساحران ضحيته قد ورط فيها.

وتتألف الرقية من صنع تماثيل صغيرة تعذب وتحطم بتلاوة جملة عليها وهو جالس داخل دائرة أختطها بعصاه ممسكاً بخشبة أو غصن نخلة.

فالساحر العراقي كان يقلد حدوث أو يحدث أضراراً أو نفعاً في أشياء تعود لزبونه مثل شعر رأسه أو أظفاره أو جزء من ملابسه كي ينقذ مريضه

الذي اعتقد بأن عفريتاً شريراً قد حل فيه.

ويتلفظ الساحر خلال العملية اسم العفريت الذي يريد إخراجه من جسم مريضه ثم يرش الماء عليه ويحيطه بالطين أو أشياء أخرى تربط على جانبي فراشه.

وإن لعنة أريدو (لعنة الكفارة سيتو التي لم تصل إلينا بكلماتها بعد) مهمة في إخراج العفريت والتي استمدت قوتها من الماء لابد من أن تتضمن اسم الإله أيا.

ويتطلب إخراج العفريت أحياناً ذبح خروف أو خنزير لتحويل العفريت إلى جسم الضحية التي يتلفونها.

وصنع السحرة الآشوريون من العجين ما يشابه شكل المريض ورشوه بالماء وعاملوه كبديل عن المريض وحملوه بعد تلاوة العبارات الذنب الذي سبب علة مريضهم أو يضعون على رأس وقدم المريض خيوطاً من الصوف الأسود والأبيض يلقونها بعد ذلك في البرية كطقس تكفيري.

ونقرأ في نص عن إخراج آشيبو لشبح أطيمو وذلك بأن يذهب إلى البرية في يوم ذي طالع حسن بعد أن يغتسل بالماء الطاهر ويكنس المكان بسعفة، ثم يعمل للمريض شكلاً من الطين ويلبسه ملابس ويضع أمامه سبعة أرغفة لأكله ومغزلاً وستاراً ومسماراً ثم يربطها إلى رأسه، ويضع مذبحاً أما الإله شمش مع وجبة ومبخرة يحرق بها عشباً طيب الرائحة، ثم يتلو التعويذة باسم أيا ومردوخ ثلاث مرات ويقطع عقدة ثوب زبونه ورغيفاً مطبوخاً من رماد وكأسين مليئين برغوة البيرة ويربط شكل المريض بغصن صفصاف ويقرأ عليها تعاويذ قصيرة وأخرى طويلة يستنجد بها بكل

آلهة عالم الموتى.

والفكرة مستندة الى التعويض[1]، إذ يكون العوض حيواناً (عادة خروف) أو شكلاً طينياً أو عصا.

وتنفذ الطقوس السحرية عادة في البرية أو بالمقابر التي ترمز إلى العالم السفلي.

ونقرأ عن شد الاشيبو العقد إلى المرأة الحامل لإعطائها القوة ضد عدوها، ونقرأ في عبارة مقلو (حلت عقدتها وأبطل سحرها الذي ملأ البرية).

كانت الرقى شائعة يحملها الناس لوقايتهم من مختلف العفاريت وحملته حتى الآلهة، وكان مردوخ عند منازلته تيامة مسلحاً بالسحر حاملاً تميمة وفي يده نبات يبطل السم.

وفي رقية صورة مخلوق ربما يمثل الشيطان كما تصوره العراقي بعضلات قوية وساعد مفتولة وذيل ملتو وفي يده سلاح الصاعقة واسمه، كما تذكر الكتابة على ظهره، يازوزو ابن هانبي ملك عفاريت الريح الشريرة، وحملت هذه الرقية النساء عند الولادة.

وهناك رقى اللاماشتي طاردة الشياطين التي تهدد الحبالى والمرضعات.

وكانت التميمة في البداية للحماية من القلق والرياح الغربية وهي على شكل رأس عفريت بصدر طير و أذرع وأذنين وبيده سلاح الصاعقة.

(١) Sags, pp. 318-320.

وآلهة السحر الأخرى هي كيرا، كيبيل ونوسكو الخاصة بالنار.

وعلى الساحر أولاً حل رقية زبونه ويعتمد على أيا في إبطال اللعنة ويطلب الآشيبو من زبونة بصلاً وتمراً وفتيلة وصوفاً وشعر ماعز يرميها في النار.

وفي تعويذة لاماشتو نقرأ الصيغة بأن يأخذ الآشيبو طيناً يصنع منه شكلاً يمثل المريض يضعه مع خنجر في رماد موقد قرب رأس المريض لثلاث أيام يضرب في نهاية المدة شكل اللاماشتو بالخنجر ثم يحرقه في زاوية بالدار.

وأن الشيدو واللماسوهي من الأرواح الطيبة التي أعتقد العراقي بقدرتها على طرد أي نوع من الشر، وصورها بشكل ثيران مجنحة برؤوس بشرية وضعها عند مداخل القصور، وعمل منها أشكالاً من الطين أو الخشب وضعها على البيوت والغرف للحماية من الشر.

وهناك طقس تطهير الدار تؤخذ به كل التماثيل إلى النهر وتوضع باتجاه الشمس وتنطق شعيرة تشمل أضاحٍ وسكائب إلى الإله شمش ثم تعاد إلى الدار لتقدم لها أضاحي وسكائب أخرى باسم مردوخ ورب وربة النار والآلهة الثلاثة العظمى والربة حامية الجار وربة العالم السفلي ثم يلمسون مرافق الدار المهمة كالزوايا وأعقاب الجدران والسقوف ومجاري البيت الهوائية بمواد تطهيرية يرمونها بعد ذلك، وهكذا تطرد الشرور وتقدم الأضاحي وتتلى أخيراً تعويذة خاصة.

وقد تنزل المآسي على الشخص نتيجة عدم التزامه بتحريم أو خرق حرمة مدينته أو اهماله واجباته تجاه إله أو لذنب أقترفه ضد أبيه أو أمه أو أخيه

الأكبر أو جده أو أخته الكبرى أو أحد أفراد عائلته وحتى قبيلته أو نام في فراش أو جلس على كرسي أو على مائدة أو شرب من كوب شخص ملعون[١].

وحتى بناء البيوت كان يتم حسب طقوس سحرية، ووضعت في أسس المعابد والمباني العامة أشياء ضد العناصر الشريرة، وصارت في عصور لاحقة مصحوبة بتقديم أضاح.

ودفنوا عند أبواب البيوت الحروز وتماثيل الآلهة والعفاريت والحيوانات لحماية أصحابها من أرواح الشر.

وشكل الماء والنار عنصرين مهمين لطرد العفاريت.

ففي طقس أيا يأخذ الساحر ماء من دجلة والفرات ويرشه على جسم المريض مصحوباً بقراءة تعابير خاصة.

وتشمل طقوس السحر حرق مواد كالبصل والتمر والصوف والبذور أو رميها بالنار مع تلاوة صيغة سحرية خاصة طالباً فيها حل العقدة وتخليص الزبون، وأحياناً يدهن الساحر جسم زبونه بالزيت ويتلو صيغة سحرية.

وإلى جانب التمائم قد تربط حلقة إلى الأيدي والقدمين وقد يربطون خيوطاً من صوف الحمل الصغير برأس أو رقبة أو أيدي وأعضاء جسم المريض أو حول فراشه[٢].

---

(١) Jastrow, the civlilzation, pp, 253-254..

(٢) David W einberg, An old Babyionian Forrunner to shumma ali HUCA vol,. 40-41 (1969) pp. 87-94.

ولتخليص الملك من شر محدق به يتحسسه الكاهن، يعمد الأخير إلى اختيار شخص بطريقة لا نعرفها حالياً يحكم لمدة يوم، وأحد وأحياناً لمائة يوم ثم يقتل في نهاية النهار أو آخر المدة حاملاً معه إلى قبره الشر المحدق بالملك الحاكم.

برز العراقيون في فن العرافة، وكان منها الخاص بالملك أو الأفراد وهي على أنواع منها بمراقبة الدخان المنبعث من المنجرة أو فحص دوائر الزيت لدى صبّه بكأس ماء ورمي القرعة.

وجاءت أقدم نصوص العرافة من العصر السومري القديم بعناوين (إذا كانت مدينة على ارتفاع معين) و (عندما الإله آنو وانليل) و (إذا خرب أو بنى).

ويذكر أن أورنانشه أول حاكم للكش كان عرافاً وصور أوتونا بيشتيم متبعاً العرافة، وكون ملك سبار أنمين دور أنكي كان عارفاً لفنون الفأل من الآلهة والذي اعتبر حامي العرافين.

ولما كان جسم الأخير، كما يذكر، خالياً من كل عيب فاشترطوا أن يكون العراف كذلك.

وعلى العراف أن يدرس فنه لمدة طويلة وأن يكون حليق الرأس أو بشعر خفيف جداً، وكانوا مرتبطين بالقصر يلزم حضورهم إليه فوراً لدى استدعائهم وعليهم أداء قسم معين ومهنتهم متوارثة.

ومن الطرق التي اتبعوها فحص كبد الحيوان المضحى وردت إلينا أول نصوصه من العصر الكاشي.

ثم الفؤول المستندة إلى تصرفات وطيران الطيور والكواسر، فمثلاً (إذا مر نسر من جانب الملك الأيمن إلى الأيسر فإن الملك سوف ينتصر أينما ذهب) و (إذا ابتنى طير مالك الحزين عشاً فإن الشخص سوف يكون فقيراً) و (إذا أمسك نسر بسمكة أو طير وحلق بها بعيداً ثم افترسها أمام رجل فإن الأخير سوف يتعرض لخسارة، وإذا أكل نسر حمامة فوق سقف بيت رجل ثم ترك منها شيئاً فإن صاحب الدار سوف يزداد ثراء)[١].

وهناك فؤول لحيوانات وحشرات منها الحية مثل (إذا سقطت حية خلف رجل يوم ١٣ نيسان فإن صديقه سيكون عدوه) أو العقرب (إذا قتلت عقرب حية في بيت رجل فإن صاحب البيت سوف يقتله أولاده) و (إذا وطيء إنسان دونما شعور على وزغة وقتلها فسوف ينتصر على عدوه) وكثرة النمل الأسود دلالة على كثرة المطر والفيضانات.

وأخرى عن الجاموس والخيل وغيرها مثل (إذا كان الدمع ينزل من عيني جاموس فإن الشر سوف ينزل على صاحبه)، (إذا دخل حصان بيت رجل وعض حماره أو رجلاً فيه فإن صاحب الدار سوف يموت ويتناثر أثاثه)، (إذا دخل كلب أحمر إلى المعبد فإن الآلهة ستهجره) و (إذا وجد كلب مضطجعاً على عرش الملك فالقصر سوف يحترق).

وطريقة العرافة بصب الزيت في وعاء ماء تكون برؤية البقع التي تطوف على سطحه فإذا تكونت نقطتان ثم اتحدتا فإنه فأل حسن، وإذا كانت واحدة ثم تهشمت بأصطدامها بجدار الوعاء فالفأل سيء.

والفأل بحركات الدخان المتصاعد من مبخرة يضعها العراف في

(١) Oppenheim, Ancient Mesopo, p. 212..

حضنه، وبالرغم من أن معلوماتنا عن هذه الطريقة قليلة الآن إلا أن العراف يلاحظ اتجاه الدخان ويحكم حسب الجهات (اليمين فأل حسن والأيسر سيء) الخ.

وأقدم نص عن هذا النوع من العرافة ورد من العصر البابلي القديم(١).

ثم الفأل بأعضاء البدن الداخلية كالرئتين والقصبات الهوائية والمثانة والمرارة والكلى، فمثلاً (عندما تكون الكلية اليمنى مخربة فإن الأمير سيموت وعندما تكون الكلية اليسرى مخربة فإن أميرة العدو ستموت).

وهناك العلامات التي تظهر على الوليد عند الولادة كأن يشبه رأسه رأس أسد (فأل طيب) أو كلب (فأل سيء) أو قدمي بطمة (فأل حسن)(٢).

وهناك الفؤول المستمدة من البيوت (إذا كان تأسيس البيت في شهر نيسان فإنه لن يجلب الفرح لصاحبه..)(٣).

وهكذا لجميع أشهر السنة، وخص البابليون شهر نيسان بالآلهة.

إلى جانب فؤول مأخوذة من الشخص المريض منها (إذا رأى الأشيبو في طريقه إلى المريض منقلة فإن المريض سيموت وإذا شاهد خنزيراً أسود فإن المريض سيموت)(٤).

---

(١) F.R.Kraus, Die physiognimischen omine der Babyionier, (Leipzig 1935) p.. 63.

(٢) د. وليد الجادر، نظرات في مباحث ومؤلفات، سومر، مجلد ٢٦ (١٩٧٠) ص ٤٠٨-٤٠٩.

(٣) F.W.Goors, A, Babyionian omen Text, AJSL, vol, 43 (1926) pp. 22 ff..

(٤) sami said Ahmed, characteristic of Ancient Mesopotamian religlous. Thought, lrag To Day, VOl. 107, (1980) p. 27 0, R. Campbell - Thompson,,

وأخرى مستندة إلى ملاحظة خيول عربات الملك.

التنجيم:

أتى التنجيم والتنبؤ عن المستقبل متأخراً عن العراقيين، فأقدم خريطة لبروج السماء ترجع إلى حوالي سنة ٤١١ ق.م.

وربما تعود المجموعة المسماة (عندما آنو وانليل) إلى العصر السومري القديم بدلالة ذكرها تقسيم العالم إلى أكد، عيلام، سوبارتو وعيلام التي لم تعرف في عصور متأخرة وكذلك أسماء ريموش خليفة سرجون الأكدي وأبي سن آخر ملوك سلالة أور الثالثة والأخلامو.

غير أنها لابد من أن ألحقت بها إضافات خلال العصور اللاحقة.

وكانت الزقورات تستخدم لمراقبة الكواكب، وكانت هناك غرفة في المعابد خاصة بالمنجمين تسمى بيت المراقبة.

وطابق العرافون الكواكب مع آلهتهم (المشتري مع مردوخ، مارس مع نركال، المريخ مع نبو، زحل مع نينورتا، عشتار مع الزهرة الخ) وأعطوا أسماء للأبراج الاثني عشر[١].

وكان القمر أول الأجرام التي راقبها العراقي، وترك فؤولاً مستندة إلى ملاحظاته له: (إذا ظهر القمر في اليوم ٢٧ كما في الأول فسيحدث شؤم في عيلام، وفي اليوم ٢٨ فشؤم على عمورو) و (إذا ظهرت الشمس والقمر في

The Reports of Magicians and astrologers of Nineveh and British Museum, (London, 1910) p. xxIII.

Bruo Meissner, Babyionien und Assyrer, (Heidelberg, 1925) II. pp. 248-249.. (١)

اليوم الثاني عشر فمعناه نهاية حكم السلالة)[1]، و (عندما يكون القرن الأيمن من القمر عند ظهوره طويلاً وقرنه الأيسر قصيراً فإن الملك سوف يغزو بلدا آخر، وعندما يكون ظهور القمر مصحوباً بهبوب ريح خفيفة فسيكون ذبح في عمورو).

وكان فأل خسوف القمر سيئاً ولكنه مناسبة للقيام بطقوس لحماية المدينة من الشرور المرتبطة به.

وكان كهنة معابد القمر يضعون أمام معابدهم يوم الخسوف مذبحاً ويخرجون الآلات الموسيقية من المعبد لزرع الأمان في قلوب الناس ويضربون على الطبل الصغير.

وشكلت ألوان القمر وقت الخسوف مصادر للفأل.

وذكرت فؤول كثيرة مرتبطة بالقمر في الرسائل الملكية الآشورية من العصر المتأخر.

فظهور القمر بأول الشهر عندما يكون النهار طويلاً فأل طيب، وكذلك ظهور القمر مع كوكب الزهرة في شهر نيسان ألخ.

وترينا الرسائل نفسها بأن الفؤول المرتبطة بالشمس جميعها معادية، فالكسوف شر وخروج ما يشبه الدخان من الشمس في مدى شروقها في الربيع نذير بغرق البلاد وإذا صعدت الشمس في مدارها فمعناه الحرب[2].

(١) Leroy Waterman, The Royal correspondence of the Assrian Empire (Ann. Arbort, 1930-936) vol2, 1373,1383,1214,1435,1391.

(٢) ibid, No, 1140-1278..

ثم التفاؤلات المأخوذة من حركات مختلف الكواكب مثل (عندما يقترب العقرب من أمام القمر ويقف فإن الملك سيطوه ويتقدم عليه عدوه) و (عندما يظهر المريخ في أيلول فسوف تنشط حركة السوق وتصعد أسعار المحصولات)، ونقرأ عن النقمة لظهور المريخ.

والتفاؤلات المستمدة من الرعد والبرق والمطر والرياح الكثيرة (إذا اسمع أدد صوته للكل في عيد نيسان فإن العدو سيتوقف وإذا كان بتموز فإن الزراعة سوف تتدهور) و (عندما ترعد مثل الكلب الكبير فإن السكيتين سوف يهجمون)، وفسرت الريح الجنوبية كفأل حسن.

وعدوا بعض الأيام نحسة وأخرى طيبة وورد في نص (عن الأيام الحسنة التي تكلم عليها سيدي الملك فهي ثمانية في شهر آيار وهي حسنة للسؤال وعبادة الآلهة، فاليوم العاشر طيب للمحاكمة والـ ١٥ للحرب و الـ ١٦ لراحة القلب و ١٨ لمعرفة المستقبل وليقتل ثعباناً في اليوم العشرين واليوم ٢٢ طيب للسفر والـ ٢٤ لألتماس العون من الإله، وعدوا شهر أيلول حسناً[١].

الأحلام:

أعتقد العراقي بأن ما يراه في حلمه هو حدث سيقع ولذلك اجتهد لمعرفة تفسيره.

ومفسر الحلم ذو اتصال بالآلهة، وهو كاهن مختص.

(١) A.Leo Oppenheim, The interpretations of Drams in Ancient near East with a . transiation of an Assyrian Dream Book, (phiiadelphia, 1956) pp. 262-302.

وأوردت النصوص العراقية أحلاماً ظهر صدقها برأيهم فيما بعد.

فالإله أيا قد أخبر اوتو نابيشتيم عن الطوفان وأمره في حلم ببناء الفلك وذكرت ملحمة كلكامش أحلاماً شاهدها كلكامش تحققت فيما بعد.

وذكر كابيتني ايلاني مردوخ ان قصيدته عن ايررا قد أوحاها له الإله أيشوم في حلم.

وكان ايأننا توم حاكم لكش قد رأى في حلم هجوم مدينة أومحا على مدينته ووقع فعلاً الخ.

ومن آلهة الأحلام العراقية زاقيقو، مامو، ماخير، زاكير وشمش.

هناك لوح ضم تفسير أحلام فسرت بصورة معكوسة فصارت رؤية الجهة اليمنى سيئة واليسرى حسنة عكس الواقع (إذا نظر نحو يساره فسوف يدحر عدوه، وإذا رجفت عينه اليمنى فسوف يظهر عليه مرض).

واعتبر العراقيون الأرض مصدر ظلمة والسماء مصدر نور ولكن صار على العكس في تفسير للحلم (إذا نظر إلى السماء فسوف يأتي له حزن، وإذا نظر إلى الأرض فسيكون مسروراً).

ونقرأ في اللوح نفسه عن الارتباط المنطقي فقد جاء (إذا مسكه رجل أحدب فسوف تنصب اللعنة عليه)، ولما كان الأحدب لا يتمتع بهيأة مقبولة، فقد صارت مسكته في الحلم تجلب اللعنة.

ورؤية القوس في الحلم معناه الحصول على غنيمة لعلاقة القوس مع الحرب.

يتضمن كتاب الأحلام الآشوري من القرن السابع ق.م تفاسير عدة أحلام وأدعية وتعاويذ لدفع أضرار الأحلام السيئة.

ونقرأ فيه تفسير رؤية الحالم نفسه يصنع باباً، كرسياً، سريراً، أو قارباً بأن عفريتاً سوف يتجه إليه، وهي حرف لابد من أنهاكانت وضيعة.

ورؤية الختم الأسطواني في الحلم له علاقة بإنجاب الأطفال، (لعلاقة الختم بالكشف عن الهوية)، وتسلم الحال لحم خنزير يعني سوء الصحة (لأن الخنزير حيوان قذر والوحشي منه خطر).

وتسلم الحالة لشحم أسد معناه عدم قدرة أحد على منافسته؛ (لأن الأسد قوي)، ورؤية الحالم إلى عجلة معناه الرزق بتوأمين؛ (لأن العجلة تأتي في زوجين).

وتسلم الحالم لكأس فارغة معناه تقبله الفقر.

ونقرأ في كتاب الأحلام هذا أدعية يتوسل بها المتعبد إلى الآلهة لترسل له أحلاماً طيبة أو أن يتلو الحلم إلى قطعة فخارية ثم يرميها بالماء ويردد القول (كما أطلق هذه القطعة في الماء وتتحطم وتتلاشى جميع أجزائها، هلا تختفي كل نتائج الحلم الشريرة التي رأيتها وتذوب)[١].

العقائد الأخروية:

أعتقد العراقيون بحتمية الموت وذكرت قصة الخليقة أن إله الموت أككاي كان موجوداً قبل أن يخلق البشر، وهذا إدراك بتأخر خلق الإنسان

(١) Heinrich zimmem, Beitrage zur Kenntinis Babyionischen religion (Leipzig, 1901) pp. 116 ff, Messner, II. p. 149.

بالنسبة إلى كائنات حية أخرى وسريان الفناء على الجميع.

وبالموت تنفصل الروح عن البدن وتذهب إلى عالم الأموات، ولم ينج من الموت باعتقادهم الا اوتونابيشتيم وزوجه وابنته والملاح أورشنابي وملك سبار السومري أمذدور أننا الذي ذكر نص دعوة الآلهة له لتعليمه فن التنبؤ عن المستقبل[١].

كان السومريون يلفون الميت مثنياً في حصيرة أو قطعة من الكتان فوق ملابسه الاعتيادية ورأسه على وسادة ومعه كأس ماء وبعض الحاجات الشخصية، ثم يوضع بتابوت من أعواد الصفصاف أو بقطعة فخارية كبيرة أو في جرتين كبيرتين متقابلتي الفوهة.

وظل الدفن حتى عصر العبيد داخل بيوت السكن، وعثر في تبه كاورة على قبور من نوع الثولوي بسقوف قبوية وأحياناً بغرفة مستطيلة ملحقة بها استخدمت لأغراض طقسية.

وعثر في الطبقة التاسعة على مدافن مسقفة باللبن والحصران والحجر والخشب خزنت فيها بعض قطع الأثاث واللوازم والقبور من النوع البسيط[٢].

ودفنت الجثث في غالبية القبور مثنية واتبعت في مقبرة الأربجية طريقة دفن جديدة دفنت فيها أجزاء من الجثة فقط أما الرأس والأذرع والسيقان

(١) James, p. 63, Arthur J. Tbler, Excav, at tepe Gawra, (phliadel., 1950) vol.2. pp. 51ff.

(٢) Heidel, the Gilgamish.. op. cit. pp. 161-162..

مفقودة مما يدل على وجود فئة باعتقادات أخروية مختلفة موضحة في طريقة دفنها.

وأقدم مقابر جنوب العراق المعروفة جاءت في عصر العبيد عند موقع أور ألقيت فيها الجثة على ظهرها والأيدي فوق بعضها عند الحوض وزودت القبور بأدوات ولوازم بسيطة ظنا منهم أن الميت سيستخدمها في حياته الجديدة، وفي أور أيضاً عثر على مدافن تعود لعصر جمدة نصر كثرت فيها الأوعية والكؤوس المصنوعة من الرصاص ودفن الميت بصورة جانبية وبيده كوب أو قرب وجهه وعاء، وأحنوا الظهر بحيث صار الرأس عند الصدر وقرب الحنك من الحوض(١).

ويتمثل نوع آخر من الدفن في مقبرة أور الملكية التي حوت على غرفة أو أكثر مشيدة من الطابوق أو الحجر مسقفة بقبب مع حفرة للنذور.

ووضعت في المقبرة أدوات عدة غالية الثمن كحيوانات من الذهب وأوان فضية وذهبية وقيثارات وعربات وذبحت الأضاحي البشرية ساعة الدفن وقبروا مع أسيادهم في أجمل حللهم.

وطريقة الدفن غريبة قد تعود لجالية أجنبية وربما تدل على أن العراقيين كانت لهم في عصورهم الأولى اعتقادات أخروية مختلفة.

وكانت غالبية مدافن العصر ما قبل السرجوني في توتوب (خفاجي) قبوراً بسيطة تحت أرض البيت غطيت بعقادة من ا لطابوق، وجاء الدفن في المقبرة لابكيش بأرض غرف البيوت وبصورة جانبية ملفوفين بالحصران

(١) L.C. Watelin and s.Langden, Exeavations at Kish vol. lv (Paris, 1934) pp.. 17ff, 52-54.

وكأنهم نيام وقربهم لوازمهم الضرورية وسحبت الأيدي إلى مقربة من الفم وبيد كل منهم كوب.

وحوت مقبرتي Y و A بكيش عربات وهياكل حيوانات نقل وحتى جثث بضعة أشخاص في حفر واحدة.

ومن قبور العصر البابلي الحديث بكيش فقد وضع الميت بتابوت طيني او في الأرض ولم تكن التوابيت على طول الجثث مما يجعلهم يثنون الأطراف.

وأحياناً كانوا يدفنون الجثة ويغطونها بالتابوت أو يدفنون الجثة بالأرض(١).

ومن مقابر حقبة الإحتلال الفرثي جاءت التوابيت الطينية المزججة على شكل الحذاء.

ولم يمارس العراقيون في الغالب حرق الموتى على الرغم من العثور على آثار حرق في أقدم الطبقات السومرية عند ساحة زقورة نفر، مما جعل البعض يستنتج أن محرقة أموات لابد من إن تكون قرب الزقورة، وفي مقبرة لكش أشعلت النيران حسب ما يظهر فوق أكوام الطين التي غطيت بها حفرة القبر.

كما نعرف عن دفن الموتى في ساحات المعابد كما أوضحت الطبقات السفلى من معبد نفر(٢).

(١) S.Langden, Babyionischen Eschatology, 4, (1913) pp. 145 ff..

(٢) George Barton, Royal inscriptions of sumer and Akkad, (phiiad. 1925) pp.. 77ff.

وقد أحرقت بعض الجثث من سلالة أور الأولى جزئياً بعد أن وضعت في القبر واقتصر الحرق على الرأس والأجزاء القريبة منه وهذه ممارسة غريبة ربما تعود إلى أسرى حرب أو جماعة وافدة بدين مغاير وكان الحرق هو القاعدة في مقابر سورغول والهبة، كما مارس الآشوريون الحرق.

إن أقدم إشارات موجودة حالياً للدفن جاءت في كتابات أورو أبنميكينا (الذي قريء بالسابق خطأً أوروكا جينا) إذ أخبرنا بأنه إذا وضع الميت في تابوته فإن شرابه ثلاث جرار خمر، وثمانون رغيف خبز، ورأس خروف واحد، وإذا وضع في غرفة أيا المظلمة (القبر) يجب أن يحصل على سبع جرار من الشراب، و ٤٢ رغيف خبز، و ١٢٠ قا حبوب وبدلة واحدة وعجل واحد وفراش وكرسي(١).

فالميت كان يزود بالعطايا عند وضعه في تابوته ودفنه في قبره.

ونقرأ في رسائل للملكين شمشو ايلونا وعموديتانا من سلالة بابل الأولى يؤكد الأول فيها الحاجة إلى سلاحف لعطايا الأموات، والثاني إلى الحليب والزبد كثوابات لشهر آب(٢).

وذكر نابو نائيد أمره بمسح جثة والده بالزيت ودفنه بملابسه الثمينة المنسوجة من الكتان الأبيض والمزينة بالأحجار الثمينة وذبح الخرفان السمان وقدمها إليه(٣).

(١) A.ungnad, Babyionische bridfe aus der zeit Hammurapi Dyastie (Leip- zig, 1914) No.80.

(٢) Langden, Die neubabyionischn Koniginschriften (Lepzig, 1912) pp. 292-293.

(٣) Friedrich Delitzsch, Das Land ohne Heimkar, (Stuttert, 1911) p. 22.

اعتقد العراقيون بانفصال الروح عن الجسم ساعة الوفاة وذهابها إلى عالم الأموات.

واستهدفوا عن موت الفرد أنه ذاهب إلى المصير أو أن إلهه أخذه إليه.

ولم يكن عالم الأموات بنظرهم بعيداً داخل الأرض واعتقدوا أن مدخل العالم السفلي يقع في الغرب البعيد من الأرض إذ مغيب الشمس.

وهناك أماكن تنفذ له في المدن مثل الحفرة التي دخل انكيدو إليها في الوركاء.

واعتقدوا أن هناك سلماً للآلهة يصل بين السماء وعالم الموتى.

ولعالم الموتى سبعة أسوار يقع خلفها قصر آلهة العالم السفلي.

وبعد نهر العالم السفلي (خويور) الذي على الموتى عبوره، يأتي سور العالم السفلي الأول المسمى كانزر.

وللعالم السفلي سبعة حُجّاب رئيسهم نيتي ومنهم كيشار واندشبا.

وأطلق العراقيون على العالم السفلي أسماء عدة أمثال المدينة العظيمة، الاراللو، أرض اللاعودة، كوتو، بيت دموزي وبيت الأسر وأرض الظلمة والأرض السفلى والأرض الفسيحة والخربة والسهل والصحراء والجبل والقفر والأرض البعيدة وأرض النحيب والمحل الكبير تحت الارض.

وهو عالم مظلم يأكل الموتى فيه الطين، ولا يرون النور، ويرتدون الريش كالطيور.

ووصف انكيدو لكلكامش ملك الموت كمخلوق مخيف مكفهر الوجه، وجهه مثل طير الصاعقة، زو، مخالبه كأظفار النسر وأخبره بأنه نزع عنه ملابسه، وأمسك به بمخالبه وأخذ بخناقه حتى مات، ثم وصف انكيدو له عالم الموتى، وتحدث عن رؤيته فيه الملوك والحكام وقد نزعت عنهم التيجان وتكدست على الأرض وإن نواب آنو وانليل يقدم لهم وحدهم شواء اللحم والخبز والماء البارد من القرب.

وفيه تحكم ايريش كيكال (وسميت اللاتو، اركاللاوبيليت صيري) ملكة العالم السفلي وكاتبتها بعلة صيري.

وللعالم السفلي سبعة حكام مخيفين من الأنوناكي.

ويقابل الميت عند وصوله أول باب للعالم السفلي نيدو (نيتي) الذي يعلن وصوله إلى آلهة العالم السفلي التي تصدر موافقتها على دخوله لمواجهة القضاة السبعة الذين يصدرون حكمهم عليه بعد ذلك.

وهذه الإشارة الوحيدة إلى حساب في النصوص البابلية، واعتقد البعض أن الحساب في الاعتقاد البابلي كان يأتي بعد الدفن بمدة من الزمن[١].

والعالم السفلي بنظر العراقي، هو الذي يستريح به الموتى وحيث الظلال نشطة تأكل وتشرب وتقوم بعدة واجبات.

وخوف العراقي من الموت والعالم السفلي واضح في ملحمة كلكامش وهيام الأخير على وجهه طلباً للخلود، ومن حلم كومحايا الآشوري الذي

(١) Kramer, The sumerans, op.cit pp. 130-135..

ذهب به إلى العالم السفلي وجلس فيه خائفاً وكأنه مضروب بالسيف.

ورأى فيه نمتار يسن القواعد وشاهد شيدو الشرير يطأ بقدمه تمساحاً، ثم آلو خابو رأس أسد وأربع أيد وأقدام بشرية ثم وكيل الشر بجناحين مبسوطين وأيد وأرجل بشرية، ثم ملاح العالم السفلي وحاجبه، ويحكم العالم السفلي الإله نركال الذي صوره كومحايا برجل جالس على عرش ملكي وبيده صولجانين وزوجه المخيفة ايريش كيكال.

ويظهر أن العراقيين اعتقدوا في عصورهم الأخيرة بإمكان الحصول على الشفاعة بوساطة الإله ايشوم مستشار نركال.

ونقرأ في مرثية أن ايتانا قد أصبح بعد موته شفيعاً للموتى في العالم الأسفل ومثله كلكامش الذي صارت تقدم إليه الهدايا من الأموات والأدعية من الآلهة؛ لأن العراقيين حسب ما يبدو اعتقدوا أن الميت لا يحمل وزر خطاياه معه إلى عالم الموتى بل تقع على عاتق أفراد أسرته.

وتوضح قصة أدابا خيبة أمل الإنسان في الحصول على الخلود وقهر الموت.

ومن النصوص الخاصة بالأفكار الأخروية تلك لأورنمو، و نقرأ عن مقتله في ساحة الحرب وحمله إلى القصر إذ بكى عليه أفراد أسرته وأقاربه ثم حلوله بالعالم السفلي آخذاً معه هدايا إلى الآلهة السبعة وإلى نركال وزوجه وكلكامش وتموز ونامتار.

ثم أخذ أورنمو مكانه في المحل المعد له بالعالم السفلي، وأخذ كلكامش يعلمه أنظمة العالم السفلي.

وذكر نص الإعتقاد بأن الشمس تشرق على العالم السفلي بعد غروبها وكذا القمر عند اختفائه في نهاية الشهر.

واعتقدوا بأن روح الميت (كيديم ومعناها مخلوق الظلام) بعد دخولها القبر تعبر نهر خوبور بمساعدة الفلاح خوموط تابال (معنى اسمه خذ بسرعة) وهناك إشارة إلى أن الكالا (شياطين العالم السفلي) قد حملوا تموز بقارب.

ونظر العراقي القديم بقدسية إلى أرواح موتاه إذ نقرأ أدعية يستنجد بها المريض بأرواح موتاه لإنقاذه من الأرواح الشريرة التي تطارده.

يظهر من أسطورة كلكامش وأنكيدو والعالم السفلي أن عالم الأموات ليس بعيداً عن أرض الأحياء وتذكر وجود تحريمات على داخل العالم السفلي الإلتزام بها مثل عدم ارتداء ملابس نظيفة، أو مسح جسده بزيت جيد أو حمل عصا أو سلاح أو لبس حذاء أو أحداث ضوضاء أو تقبيل أو ضرب الابن أو الزوج الذي يحب أو يكره.

وفي العالم السفلي جبل يسمى جبل اللازورد تحرسه جنود برئاسة نبتي[1].

وأوضحت ملحمة كلكامش الاعتقاد بوجود قواعد مطبقة بالعالم السفلي، فالقتيل في ساحة الحرب يشترك والداه في تأمين راحته، وإذا مات الشخص تاركاً ولدين فسوف يعطى بيتاً من الطابوق ويقدم له الخبز، ويسمح لمن ترك ثلاثة أولاد بشرب الماء من القرب، ويعطى لصاحب

(١) Contenan, pp. 295-298..

أربعة أولاد ما ينعش قلبه، ويمنح من له خمسة أولاد مركزاً خاصاً في قصر العالم السفلي.

أما الذي لديه ولد واحد يوضع عند السور باكيا، وربما لهذه المعتقدات كان العراقيون يقدمون مختلف الأطعمة لأرواح موتاهم مع البخور ويسكبون إليها الماء لإرواء عطشها ويقدمون الصدقات على أرواحهم، ويقوم الكاهن بشعائر جنازية خاصة للموتى، وهناك يوم خاص يسمى الكآبة وآخر يسمى يوم الندب للقرابين الجنازية.

كان لزاماً على العراقيين أن يدفنوا موتاهم بصورة صحيحة وفقاً للمواصفات المتبعة، وألا يقطعوا عنهم النذور.

وأخبرنا الملك آشور بانيبال حول انتصاره الأخير على عيلام وتهديمه الشوش (لقد سلطت على أرواحهم عدم الراحة وقطعت عنهم طعامهم وشرابهم).

وذكر ملك آشوري عن الفضل الذي أسداه لوالده المتوفى بأن أحكم سد تابوته الذي ملأه بالأدوات الذهبية وكل ما يحب (الفعل بالمضارع)، مما يدل على اقتناعه بأن والده حي يتمتع بالأكل الذي يوضع له والحاجيات الأخرى.

وأكد آشور بانيبال في أمره بمنح هدايا جنازية إلى أصحابه العقوبات لمن يعتدي على القبر.

ونقرأ فيها عن تأكيد الملوك بوجوب دفن القائد نابو شار أو صور في المكان الذي يختاره لنفسه والعقوبات لكل من يزعجه في قبره.

كانت وفاة الملك في العراق التقديم مناسبة حزن وفأل سيء للبلاد؛ لأنه صلة الوصل بين السماء والأرض.

وقد عرضت جثة سنحاريب ثلاثة أيام في نينوى، ويوم واحد في أربيل قبل دفنها، وهذا العرض أما داخل أو عند إحدى بوابات المدينة، وسمح للناس أن يلقوا النظرة الأخيرة عليه.

ونقرأ عن اشتراك الجيش في تشييع أم ملك وهم في الملابس الحمراء لون الحداد وأمامهم النادبين وهذا خير مثال على مشاركة ندابين رسميين.

وكان الملك الميت يعطر بالروائح الذكية ويمسح بالزيت النقي وهو بملابسه الرسمية ملقى في تابوته الحجري.

وقبل سد غطاء التابوت بقليل يعرضون إلى نور الشمس وتقرأ اللعنة على القفل ويجري الدفن في القصر وكان بعض الملوك الآشوريين قد دفنوا في أربيل.

وعثر في مدينة آشور على عدة توابيت ملكية دفنت بمنطقة واحدة من القصر.

وإن تابوت الملك شمشي أدد الخامس الموجود الآن في متحف برلين يشبه الصندوق مستطيل الشكل أكثر عرضاً بالقمة.

اعتقد العراقيون بأن عدم دفن الجثة بصورة صحيحة لا يؤهل المتوفى دخول العالم السفلي.

وحرمت القوانين الآشورية دفن المرأة الحامل التي اسقطت جنينها

عمداً وكانوا يتمنون لأعدائهم عدم توفر من يدفن لهم جثثهم[1].

وربما يدعى الميت إلى الأرض لاستحصال معلومات خاصة منه، كما في حالة انكيدو الذي سمي مسبب قيامة روح الموتى.

وإن تهديد عشتار ـ في قصة نزولها إلى العالم السفلي ـ بإحياء الموتى يدل على رسوخ الاعتقاد بين العراقيين بقيامتهم وقدرة الآلهة على ذلك.

ومن ألقاب الآلهة مردوخ، نبو، نينورتا، شمش وكولا كان محيي الموتى التي تعني إنقاذ المشرفين على الموت وشفائهم في الغالب.

وأطلقت قصة الخليقة على مردوخ اسم محيي الموتى كمرجع لهم إلى الحياة، وحتى أنه سمي محيي الآلهة الموتى.

ونقرأ في النصوص عن دار الحياة في أرض السماء الفضية وصوروا في هذه سعداء،وهم جالسون على الأرائك يشربون السوائل الصافية، ويأكلون الأطعمة مع أقاربهم وأصدقائهم، وتصوروا البطل المحارب محاطاً هناك بغنائمه وأمامه أسراه.

(1) W. King, Badylionian Boundry stones and Memrial Tabiets in the Brit- ish. Mueeum, (Lpndon, 1912) pp. 99

ملحق رقم(١)

معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور

وصلتنا الكثير من النصوص الآشورية - البابلية في السحر والعرافة، وغالبيتها مكتوبة باللغة الأكدية إذ أعيدت كتابتها زمن سلالة بابل الأولى. ونجد ذكر لهؤلاء السحرة في الكثير من الأدعية والتعاويذ امثال المجموعتين المعروفتين بالمقلو Maqlu والشوريو Shurpu فمنذ زمن جودية نجد هناك أوامر ضد السحرة. وفي القوانين الآشورية الوسيطة أتتنا مواد ضد ممارسة السحر (إذا أعد رجل أو امرأة معدات سحرية ووجدت في حوزته فإنه عند توجيه الاتهام له وإثباته بقتل صانع هذه المعدات وكل من شهد صنعها أو سمع بها من فم شاهد عيان قال (أنا رأيتها بنفسي) يتقدم كشاهد سماع ويعلن للملك فإذا أنكر شاهد العيان أمام الملك ما قاله يعلن ذلك في حضرة الإله الثور ابن الشمس (أنه حقاً قالها) وعندئذ يصبح حراً.

أما شاهد العيان الذي قرر الشيء ثم أنكره فإن الملك يسأله ويتحرى ماضيه وحين يؤتى بمستحضر الأرواح الشريرة يجعل الرجل يتكلم ويقول بنفسه (أنه ـ أي الملك ـ سوف لا يبرئك من قسمك الذي أمرت أن تقسم به أمام الملك وابنه. إنه طبعاً اللوحة، إنك دفعت للقسم فاقسمت للملك وابنه)[1].

(١) الدكتور نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، المجلد ٦ (القاهرة، ١٩٦١) ص ٩٢ مادة ٤٧.

ففي بلاد آشور كانت عقوبة ممارسة السحر (كيشيو) الموت. وفي قانون حورابي المتهم بالسحر يعرض إلى امتحان الماء إذ ورد بالنص (إذا اتهم رجل آخر بالسحر ولم يستطع إقامة الدليل اختبر بامتحان النهر فيرمي نفسه فيه فإن غلبه النهر على أمره استولى خصمه على مملكاته وإن أظهر النهر انه بريء وخرج سالماً فإن المدعي يقتل ويأخذ المدعي عليه املاكه)[١].

وفي مجموعة المقلو يعرف الشخص الذي يقرأ التعويذة الساحرة بأنها (تلك التي يسكن في قلبها شقائي ويولد من لسانها خرابي ويتأصل على شفافها سمي ويقف على آثار قدميها الموت). وبذلك فقد عزيت إلى الساحر والساحرة جلب الكثير من الشرور والأمراض والأرواح الشريرة. وكان العراقيون القدماء يعتمدون على الآيشيو لتخليصهم وإنقاذ مرتكبي الذنوب وشفاء المرضى. علماً بأنهم عزوا أوجاع الرأس والعمى والكابوس إلى مهاجمة العفاريت أو إلى أرواح الموتى[٢].

فلكل مناسبة رقية خاصة. وكان السحرة الذين يلتمسون في تعاويذهم الإله أيا ثم مردوخ. ومن المهم أن نقول بأن السحرة الذين يضعون عليهم اللوم عن أمراضهم ومآسيهم كانوا بصورة عامة أجانب. فالسحر العراقي الرسمي تشرف عليه الدولة وهو ديني في الهامه وغاياته للخير. فهناك التعاويذ والطقوس السحرية الكثيرة لأغلب المناسبات والتي تستند الى عناصر عامة لغالبية أشغال السحر. فاللون والعقد وقواها، والدائرة وأهميها والتطهير بالماء ثم النار.

(١) قانون حورابي، مادة ٢، المصدر أعلاه ص ٥٩.

(٢) Hooke, Babylonian and Assyrian Religion, (London 1953) Translated by A.J. Powerans, pp 69-70.

ويمكن عدّ الطقوس التي نجدها في المقلو من نوع السحر وتكون نوع من ممارسة السحر. ومن الأمثلة التي لدينا عن السحر الأسود هي رسالة إلى إله من قبل بابو - أخ - إدينا يطلب فيها من الإله إنزال انتقام على هذا الشخص لأخذه أرصدة شماش بلاطو.

وهناك مثل في أيلي ادينوم الذي اعد كمية من الشعير إلى ولده لأجل أن يزرع حقلاً. ولكن الابن صرف الشعير وأجر الحقل إلى فلاح. وأخيراً رفض الفلاح أن يعطي ايلي ادينوم حصة من المحصول بصفته صاحب الأرض ورفع ايلي ادينوم الدعوى عليه في المحاكم. ووقف ايلي ادينوم أمام المحاكم ضد ابنه. وأصر الأب بأن زوج ابنه وأمها هي ساحرتين (كشاتيوم) وطلب وضع حد لفعاليتهن ودفع الابن اتهاماً مشابهاً ولكن الشهود ايدوا الابن مما جعل الحاكم نركال خازر يحكم له بالقضية. فاستأنف الأب الدعوى في محكمة أعلى وترافع أمام هيأة من القضاة. فأمرت الهيأة الحاكم بأن يأمر الابن وزوجته وأمها للمثول أمامهم(١).

فاعتقد السومريون بأن كهنتهم والذين حمتهم الأرباب يمكن أن يخترقوا الحجب السرية الغيبية وحتى الشرور التي تهدد الكون. وتتلخص مهمتهم في التنبؤ بوجود هذه القوى من عناصر وعلامات الفأل المختلفة وإخضاعهم في وقت ملائم واستخدامهم لمصلحتهم. وبملاحظة العلامات التأليفية أنار كهنة بابل دونما إدراك الطريق المعلم إذ أن السحر دون شك أدى دوراً في تقدم الفكر العلمي(٢).

(١) Sranley D. Walters, The sourceress and her Apprentice, JCS, vol. 23 (1970). pp. 27-28.

(٢) A. Ray, La science Orientale Avant Les Grecs, (paris, 1947) pp. 40-47.

فالسحر العراقي القديم تدريب علمي مستقل ذا حدود ومبادىء متقنة بتطبيقاته وأفكاره وليس نظاما كونيا يحكم ويسير جميع فروع المعرفة[1] فالسحر العراقي غايته دفاعية وخيرةولم يمنع القانون إلا الأسود منه الذي يستعمل للشر والأذى ليس إلا.

وعلى الساحر معرفة أسم المريض أو الشخص الذي يرغب في الخلاص مما يعتقد إن أحاطت به قوى الشر فيستلفظ أسمه بالصوت الملائم أو كتابته أو تمثيله بالشكل. ويتلفظ الساحر (الآشييو أو الماشماشو) التعويذة (الشييتو) ويستمد الآشييو قوته من تكريس نفسه للأرباب والمهنة ومن كونه ممثل الآلهة الخاصة بالسحر.

ويقول في مبدأ العملية (آشييو الذي خلق اريدو هو) ويتلفظ كلمات الطقس الخاص للتخلص من العفاريت وهو في ملابسه الحمراء (اللون المعارض للعفاريت) أو جلد قلد السمكة لتأكيد صلته بالإله أيا، وهي الكلمات التي يستوحيها من الإله، فيدعو باسم الأرباب اعداءه ويستعين بالأرباب الخاصة لإحراج العفريت. ويكون الطقس مصحوبا بعدد من الأعمال الرمزية مثل حرق المواد التي تشبه الأرواح الشريرة وحل العقد التي يتصور الساحر أن ضحيته قد ورط فيها. وتتألف الرقية من عمل تماثيل صغيرة تعذب وتحطم بتلاوة كلمة عليها.

ويعمل الآشييو خلال هذه العمليات دوائر بعصاه السحرية يضع فيها نفسه وأي شخص يريده ويقول (في يد أمسك دائرة سحر أيا، في يدي امسك خشب الأرز، سلاح أيا المقدس، في يدي أمسك غصن النخلة

Rene Taton, Ed. Op.cit. p. 70. (1)

ذات الطقس العظيم) والساحر هو المسؤول عن نفخ القدسية في لوازم الأرباب وتماثيلها وطقوس غسل وفتح أفواه هذه التماثيل. وتألف هذه الطقوس من لمس هذه اللوازم والتماثيل بوساطة الآلة الملائمة مع تلاوة بعض العبارات الطقسية. فتدب بالتماثيل بوساطة هذه العملية الحياة[1].

وأحياناً يتلفظ الآشيبو (الرب العظيم، الإله أيا ارسلني، ووضع رقبته المقدسة في محل رقبتي ووضع فمه المقدس في مكان فمي ولعابه المقدس في لعابي ودعائه المقدس محل دعائي) فالساحر العراقي يمكنه أن يحدث شيئاً عن طريق تقليد حدوثه أو أحداث ضرر أو خير في أشياء فعلى الساحر تقع مسؤولية إنقاذ الشخص المريض الذي اعتقد بأن روحاً تعود لزبونه أمثال شعر رأسه أو أظافره أو جزء من ملابسه وما إلى ذلك عفريتية شريرة قد حلت فيه .

ففن الشفاء بالعراق القديم قد ارتبط بنظام واسع من عالم العفاريت من جن وأرواح معادية تسير في شوارع المدن داخلية من أبواب البيوت أو جدرانها. فالخوف من الشياطين بأنواعها (الشياطين الصرفة وتلك المركبة من شياطين وبشر والناتجة عن تزواج البشر والشياطين) والأرواح الشريرة والأرباب المهانة كانت من العوامل المهمة في حياة البابلية[2].

ونظروا إلى أيا ومردوخ كحماة لهم من هجمات هذه العناصر الغثيثة والساحر خلال عملياته السحرية عليه أن يتلفظ اسم العفريت الذي يريد خروجه وإقلاعه عن جسم المريض. ومن ثم يرشوا الماء على المريض ويحيطوه بالطين أو بأشياء أخرى حامية نباتية تربط على جانبي فراشه بينما

(1) Contenau, Every Day... Life in Babylon and Assyrin, (N.Y. 1966)..

(2) Hooke, op.cit. p. 77..

يمسك الساحر في يده عوداً من الصفصاف المقدس (سلاح آنو القوي) خلال قراءته للتعويذة. وإن لعنة أويدو (أو ما تسمى بلعنة الكفارة سيتو وهي المهمة في إخراج العفريت من جسم المريض) قد حصلت أيا على قوتها من الماء والتي لم تصلنا كلماتها ولكنها لا بد من أن تحوي على اسم أيا.

ويتطلب إخراج العفريت أحياناً ذبح خروف أو خنزير لتحويل العفريت إلى جسم الضحية التي يتلقونها بعد ذلك. وفي نص طقوسي يأمر الإله أيا مردو به لأن يأخذ ضحية عوضاً عن الملك مثل عنزة وحشية ذات قرون وأن يوضع رأسها أمام رأس الملك مع قراءة العبارة (هلا يكن الملك طاهراً نقياً فالذي لا يعرف اللعنة التي سيشفى بها، هلا يترك جسمه ويخرج منه).

ويأخذوا أيضاً سبع أرغفة من العجين النقي إلى البرية حتى يرفعوا القدمين بعد أن يوجه الساحر إلى الضحية الشر الذي نتج عن الذنب المرتكب. وضع الآشوريون من العجين ما يماثل شكل المريض ورشوه بالماء وعاملوه بعد ذلك كعوض عن المريض وحملوه بعد قراءة عبارات خاصة الذنب الذي جر على مريضهم المرض. ويضعوا على رأس وقدم الرجل المريض خيوطاً من الصوف الأسود والأبيض يلقوها بعد ذلك في البرية كطقس تكفيري[1].

ونسمع عن إخراج اشيبو لشبح اطيمو (إذا مسك اطيمو بإنسان وصرخ قلبه فيجب أن تهيء نفسك في يوم محظوظ طيب واغتسل جسمك بالماء من الحوض واذهب إلى البرية واكنس الأرض بسعفة نخل ثم أعمل شكلاً من

(1) H.Zimmern, Die Keilinschriftliche und Das Alte Tes- tament (Leipzing. 1903) II, p. 33, James, op.cit, p. 238.

الطين تمثل الرجل المريض كعوض والبسها الملابس اليومية الخاصة به، وصنع سبع مرات سبعة أرغفة لأكله اليومي ومغزل وستار ومسمار وربطها إلى رأسه .

وضع مذبح إمام الإله شماش مع وجبة طيبة ثم رشها ومبخرة مع عطر من عشب الأرز فيه مع جرة صغيرة من البخور عليه ثم صنع تمثال شماش) وبعدها يتلو التعويذة التالية (أب أيا، الشرق، الرب أيا الذي يعطي التأثير والقوة إلى تعويذه مردوخ، اين اريدو، مردوخ قد رآه. المسيطر على السموات والأرض الذي أعطى الحياة لكل الأشياء، رش الرجل المريض). وتقرأ التعويذة ثلاث مرات. ثم قطع عقدة ثوبه ويعطي المريض رغيفاً مطبوخاً في رماد وكأسين من رغوة البيرة. ثم يؤخذ الشكل ويربط مع غصني صفصاف وتقرأ عليه التعويذة ويوضع في محل. وتلحقها تعويذة طويلة يستنجد بها بكل أرباب العالم الأسعد الذي يمثل لقوتها الرجل المريض صاحب الشكل الطيني. ثم ينتهي الرقم بالعبارة (أنت مقبور، ربما تبدل هيئتك، ربما تغير نفسك «أي أرجع إلى الحياة الثانية»)[1].

والفكرة العفريت مستندة الى التعويض (يوخو) إذ يكون العرض في العادة حيوان خاص خروف أو شكل طيني أو عصا، ومهما يكن العوض فإنه يعامل كشيء ميت وفي العالم السفلي. وتقرأ دوما كون الطقوس السحرية تأخذ عملها خارج المدينة أو في المقابر والبرية اللواتي ترمز إلى العالم السفلي. ونسمع أيضاً عن شد العقد من قبل الآشيبو إلى المرأة الحامل والتي تعمل لإعطاء قوة إلى الشخص ضد عدوه. وتقرأ في نهاية إحدى

(١) E.Ebeling, Tod und Leben Nach Den Vorstellunged Der Babylonier,. (Leipzig, 1931) pp. 76-78.

نصوص المقلو الموجهة ضد السحر القول (قد حلت عقدتها وأبطل سحرها الذي ملأ البرية)[1].

وكانت الرقي شائعة الاستعمال يحملها الناس لوقايتهم من أخطار العفريت المتنوعة وحتى الأرباب كانت تحملها طلباً للسلامة والقوة. وكان مردوخ، كما ذكرت أسطورة الخلية البابلية مزوداً بالسحر مسلحاً به لدى حربه تيامات. وقد أمدتنا رقية بصورة مخلوق ربما يمثل الشيطان كما تصوره العراقي القديم إذ ترينا مخلوق مجنح بعضلات قوية وسواعد مفتولة وذيل ملتو وهو يحمل في يده سلاح الصاعقة واسمه يازوزو ابن الإله هابني ملك عفاريت الريح الشريرة كما تنص الكتابة التي في ظهر الرقيم وكانت مثل هذه الرقية تستعمل من قبل النساء عند الولادة لتسهيلها عليهن، مثلهن في ذلك مثل رقي اللاماشتي طاردة الشياطين التي تهدد النساء الحبالى منهن والمرضعات. واللاماشتي هذه تحمل بالعادة صورة وحش غريب الشكل ذي رأس أسد وجسم امرأة[2].

ويلبس الناس وحتى الأرباب التمائم، وكان مردوخ عند حربه لينامات لابساً تميمة من الطين الأحمر وممسكاً في يده نبتاً يبطل السم ويوقفه. وعلى أحد التمائم التي وصلتنا نقرأ (ذاك الذي وصل البيت قد أرعبني من فراشي ومزقني وحملني أرى الكابوس، فإلى الإله بابن، حارس باب العالم الأسفل، هلا يقدرون له، بأمر الإله ننورتا، أمير العالم السفلي، بأمر مردوخ الساكن في ايساكيلا ببابل. ليعلم القفل والباب بأني تحت حماية

(١) Hooke, op.cit, p. 81..

(٢) الدكتور سامي سعيد الأحمد، الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان، بغداد ١٩٧٠، ص ٢٤.

الربين)[1] وشكل التميمة، التي كانت بالأصل للحماية من الرياح الغربية صيفاً والقلق عامة، تكون عادة على شكل رأس عفريت من الصخر أو البرونز بصدر طير وأذرع أدنان ماسكا بيده سلاح الصاعقة. وعلى أحد التمائم نقرأ (أنا الإله يازوزو ابن الإله ها بني ملك عفاريت الريح الأشرار. الذي يغضب بقوة في الجبل (جبل العالم السفلي) حتى يأتون.

أما تلك الرياح التي ترافقهم، فالرياح الغربية في مقدمتهم واجنحتهم مكسورة. والنار والأرباب الأخرى تأثيرات هذا السحر الأسود، وهذه الأرباب هي تلك الخاصة بالنار أمثال كيرا وكيبيل ونوسكو الذين تقرأ اسماءهم في تعاويذ الآشييو ضد العفاريت والسحر. (كيرا الغضب، ابن آنو، انت أكثر اخوانك عنفاً، أنت الذي تحكم بالقضايا مثل لأرباب سن وشماش، أحكم بقضيتي، توصل إلى حكم يتعلق بي، احرق ساحرتي وساحري، ياكيرا استهلك (جسم) ساحرتي وساحري، يا كيرا احرقهم، يا كيرا استهلك أجسامهم، يا كيرا قيدهم، يا كيرا أهلكهم يا كيرا أطردهم).

ونقرأ في نص عن العلاقات التي تلاحظ على المريض ثم يسرد كيف أن مردوخ رآه وهرع إلى أبيه أيا وأخبره الذي نصحه بأن يأخذ ماء نقيا وأن يحل رقيته، سواء أكانت تلك لعنة أحد أفراد أسرة المريض أو غيرهم وأن يستنجد به (بأيا) ثم يأمر ببطلان مفعول اللعنة وتأثيرها كما يقشر الآشييو البصلة التي معه ويفتح التمرة التي في يده ويلف الفتيلة التي يحملها. ويطلب الآشييو عادة هذه المواد (البصل والتمر والفتيلة والصوف وشعر الماعز) التي يرميها أحياناً في النار. ووصلتنا تعاويذ لا ماشتو كثيرة تقرأ في واحدة

(١) H.W.F. Saggs, The Greatness That was BABYLON, (N.Y. 1963)..

أن يأخذ الشخص طيناً من الأرض ويصنع منها شكلاً اللاماشتو يضعه عند رأس الرجل المريض بعدها يملأ موقداً بالرماد ويضع خنجراً فيه. ثم يضع الموقد هذا لمدة ثلاثة أيام على رأس المريض. وفي نهاية اليوم الثالث على الشخص أن يضرب شكل اللاماشتو بالخنجر ثم يحرقه في زاوية من زوايا البيت .

وفي رقية أخرى إلى اللاماشتو يوكر الآشييو فيها أن يضع شكلاً إلى اللاماشتو (اتية آنو) من طين حفرة وكذلك شكل حمار من الطين نفسه. ويقدم سكيبة طعاماً من الخبز والبيرة ويذبح خنزيراً صغيراً واضعاً منه على فم آتية آنو. ويكرر الوضع لمدة ثلاثة أيام قارئاً خلالها التعويذات وفي نهاية اليوم الثالث يأخذها إلى البرية[1].

ولدينا صنفين من الأرواح الأولى الشريرة المعروفة بالاوتوككي ليمنوتي والثانية بالطيبة من نفس (الاوتوككلي) والمعروفة بالشيدو، واللماسو، وتقرأ في تعويذة ضد الاوتوككو الشريرة (نامارتو والتي هي خراب وتدمير قد أمسكت به. . . اوتوككو شرير يركض في الحديقة مثل ريح الهايته. آلو الشرير الذي يسير في الشوارع مثل الريح، الاطيممو الشرير المعلق على الإنسان كالحبل، العاللو الشرير المنتشر مثل الشبكة والذي لا يتمكن أحد أن يمحوه. لقد تحلكت على رأسه النامارتو الشريرة، لقد تملكت على بلعومه الاوتوككو الشريرة، لقد تملكت على صدره الآلو الشريرة، لقد تملكت على يده العاللو الشريرة. لقد تملكت على قدميه الرابيصو الشريرة فلم يتمكن من الأكل أو الشرب. لقد رآه مردوخ. . . أذهب ولدي، خذ طحين ذرة مر المقدس عند العفاريت وطحين حنطة المقدس عند الأرباب ثم خذ طحين

(١) Ibid, pp. 305-307, 311..

الانفيتو واخلطهما..)[1].

واعتقد العراقي القديم بقدرة الشيدو واللماسو اللامتناهية على طرد الشرور مهما كان مصدرها. وقد صوروها على شكل أسود مجنحة برؤوس بشرية ووضعها عند مداخل القصور الملكية. وعملت لهم أشكال من الطين والخشب وضعت على البيوت وحتى الغرف للحماية والأمان من الشر وأرواحه.

وقد عثر في موقع أور على أشكال معمولة من الطين في صناديق من الطابوق بأغطية فتت تحت الجدران وبعض هذه الأشكال مصبوغة بالأسود والأحمر وهي على أنواع مختلفة غالباً رجال بشكل أسماك في بدالة طويلة مع منعة مدببة وبعض منهم رجال يشبهون الطيور .

وبصورة عامة فإن أمثال هذه الأشكال التي وضعت لحماية المنزل تحوي عدداً من المآسي التي قد يتعرض لها البيت ومن فيه وبذلك تعد حامية للبيت منها (سواء أكانت شبحاً شريراً أو روحاً شريرة أو غول شرير أو إله شرير.. أو لا ماشتو أو لاباسو أو الماسك أو الليلو أو ليليت أو .. يد إله أو يد آلهة أو وباء.. أو عفريت طاعون أو عفريت سوء حظ أو الموت أو أكر أو الحمى أو القاتل وما إلى ذلك والتي تؤذي الإنسان في بيت إنسان).

وهناك أيضاً طقوس خاصة تعمل للشكل الطيني أو الخشبي هذا قبل وضعه في الأرض كأن يرشه (الساحر) بالماء المقدس ويضعه على مرفعة الطقس ويضحي له الخرفان ويضع اللحم والعسل والزبد ويهيء المبخرة

(١) E.E. Kundsen, Two Nimrud Incantation of The Utukku Type, Irak, vol, 27, . 27 part2, Fall

هذا وقد تكون المآسي التي تنزل بالإنسان من جراء سحر عمله ضده ساحر بتأثير شخص معاد أو لتسلط عفاريت شر عليه وربما نتيجة عدم إلتزام الشخص وتقيده بتحريم أي خرقة للممنوعات إذ نعرف أن هناك بعض الأطعمة والفعاليات التي حرمت على العراقي القديم إذ تقرأ في نص (في أشهر تشرين، اليوم الأول يجب أن لا نأكل الثوم وإلا فإن العقرب سوف تلدغه، أن لا يأكل بصل وإلا فسيصاب بالدزانتري. في اليوم التالي يجب أن لا يأكل الثوم وإلا فسيموت شخص مهم في عائلته. . . أن لا يصعد إلى سقف وإلا فإن رفيقة الليلو سوف تمسك به. . في اليوم الثالث أن لا يتصل جنسياً مع امرأة وإلا فإن تلك المرأة تأخذ قوته الجنسية. في اليوم الرابع أن لا يعبر نهر وإلا فسوف يذهب نشاطه ورجوليته. في اليوم الخامس أن لا يأكل لحم الخنزير وإلا فإن دعوى سوف تقام ضده. أن لا يأكل لحماً مطبوخاً أو أن العفريت المتجول سوف يضربه، أن لا يأكل لحم بقر وإلا فإن عفريت الأوتوككو سوف يمسك به. . الخ).

أو قد يكون السبب إهماله واجباته نحو رب أو ربة أو قد تكون نتيجة ذنب ارتكبه هو أو أبيه أو أخيه الأكبر أو جده أو أخته الكبرى أو أحد أفراد عائلته وحتى قبيلته. أو قد يكون السبب أيضاً بأنه خرق تحريماً لمدينته أو تلفظ فألا سيئاً ضد مدنيه أو أنه قد نام في فراش شخص ملعون أو جلس بكرسي شخص ملعون أو على مائدة شخص ملعون أو شرب من كوب شخص ملعون[١].

وحتى بناء البيوت يجب أن يتم حسب طقوس سحرية لإكماله. وجميع المباني العامة والمقدسة وضعت في أسسها أشياء، وفي العصور اللاحقة

(١) Ibid, pp. 318-320..

مع العشب الطيب الرائحة كيما يحرقه فيها وبعد سكبية الخمر ووعاء الماء المقدس ويتلو بعدها التعويذة الخاصة .

وقد عثر على تماثيل طينية عليها آلات سحرية. وفي كتابة من هذه وحدت على أشكال لكلاب تقرأ لـ ... اسم كلب أسود، استهلك حياته، أسم كلب آخر العالي العواء أسم الكلب الأحمر، طارد عفريت الاساككو. اسم الآخر ماسك العفريت العدو.. اسم الكلب الأخضر طارد العدو. اسم الآخر الذي يعض العدو، أسم الكلب المرقط، مقدم الطيبون، اسم الآخر طارد النحسين المؤذين(١).

وهناك طقس عرفوه بتطهير الدار، تؤخذ به التماثيل كافة سواء كانت طينية أو خشبية إلى النهر ويضعها باتجاه الشرق، وعند شروق الشمس يعمل على التماثيل مرسوم يشتمل على أضاح وسكيبة إلى الإله شماش ترجع بعدها الأشعال إلى الدار حيث تقدم لها أضاحي وسكائب أخرى هذه المرة إلى مردوخ ورب وربة الدار والثلاث أرباب العظمى وإلى الروح الحامية للبيت ثم إلى ملكة العالم الأسفل. ثم يلمسو المناطق المهمة من الدار كالزوايا وأعقاب الجدران والسقوف ومجاري الدار الهوائية بمواد كثيرة لتطهيرها بدمومها بعد ذلك في خارج الدار. وهكذا طردت الشرور عن الدار وتقدم الأضاحي ونقرأ التعويذة التالية (ومن أجل الأمور الشريرة الموجودة والتي تجلب المآسي لدار فلان بن فلان. . . لقد جعلتكم تقضون خارج الدار يداً وعيناً، لطردهم خارج بيت فلان بن فلان. هلا يطرد أي شيء مؤذي وغير طيب لمسافة ٣٦٠٠ ساعة مضاعفة)(٢).

(١) H.W.F. Saggs, The Greatness....op.cit, pp. 313-315..

(٢) Ibid, pp. 315-316..

صار وضع مثل هذه يصحبه تقديم أضاحي. قد فتت تحت أبواب البيوت الحروز وتماثيل الأرباب وحيوانات وعفاريت لحماية أصحابها من أرواح الشر، وضعت كلها بحضور الآشيبو الذي يقرأ عادة عليها التعويذة الصحيحة .

فعندما تكمل البناية يأتي الآشيبو ويضع شكلاً من الطين يمثل رب الطابوق مع أشياء على قارب صغير يحمله ويقرأ التعويذة (رب الطابوق أنشدك، بالسماء والأرض انشدك، أنشدك بحق ألالا وبيليلي، أنشدك بلخمو ولا خامو، أنشدك بأرباب السماء، أنشدك بأرباب الأرض، أنشدك بأيسو، أنشدك بالأرباب التي تسكن دوكو (الجبل المشرق) هلا تمزق، تخرج وتذهب وتضعف وترحل من هنا، أنشدك أن لا ترجع)(١).

فاعتقد العراقي القديم بوجود العفاريت الكثيرة الطيبة منها والخبيثة. والأخيرة هم أولاد أرباب الشر الذين دحرهم مردوخ بينما الطيبون قد نسلوا من الأرباب التي لا تزال تعيده والجن الطيبة معروفة متميزة بأجنحتها والثيران المجنحة أو أنها غير منظورة. وعرفوا أيضاً باسم ثلث عشتار أو ثلثي عشتار أي برقم ٥ أو ١٠ لأن رقم الربة عشتار ١٥. وأن الجن الخبيثة أكثر بكثير عدداً من تلك الطيبة. وعدّت الطيبة أولاد آنو أو انيل وأمهم ربة العالم السفلي وحتى أولاد أيا من دامكينا. وعرفوا أيضاً باسم طحال أيا.

وقد صوروا هذه العفاريت مخيفة ووحوشا ذات أشكال غريبة غير اعتيادية. وهم في جماعات منهم الاوتوككو الأشرار المعروفين أيضاً

(١) Bruno Melssner, Babyloniens und Assyrians (Heidelberg 1925) II, pp. 235-236.

بالسبعة والذين يختلف عددهم أحياناً إذ ورد في النص (سبعة أنهم سبعة، في الأعماق أنهم سبعة، في السماء أنهم سبعة، موضوعين في الأعماق أنهم سبعة، ليسوا بذكور أو أناث، رياح عاتية هم، ليس لهم زوجات ولا ينجبون أطفالاً، لا يعرفون الرحمة والشفقة ولا يسمعون التماساً ولا دعاء.إنهم خيول ربيت في الجبال، معادين إلى أيا، أنهم حاملي عرش الأرباب ولعرقلة الطريق يرمون أنفسهم في الطريق أنهم أشرار أشرار أنهم سبعة عددهم سبعة مرتين سبعة)، وتقرأ أحياناً عن كونهم قبيلة ويضموا حولهم عفاريت كثار منها الأشباح (الاطيمبو) والنامارتو (عفريت لمرض)، ويكون نباحهم في بعض الأحيان أشد من عضتهم.

يتمكنون من دخول البيوت والصفير به والكلام وقلب أثاثه على بعضها وحتى يذهبوا إلى الاصطبلات لقتل الحيوانات وأذاها. يدخلون البيوت مهما كانت محكمة القفل ويجعلوا أفرادها تتخاصم. وهناك السبعة الآخرون الذين بالاشتراك مع العفريتة انية آنو الذين يمنعون الأطفال من الولادة في الوقت المعين أو يقتلوا الطفل الحديثة الولادة.

وهناك العين الحاسدة التي لا يصيب الرخاء أحد أو أمر تحت تأثيرها. فقد يوقف تأثيرها المطر في السماء ولا ينمو الحشيش ولا تتكاثر الحيوانات في الاصطبل. ونوع آخر من العفاريت الخبيثة هم الأشباح (الأطيممو) وهم أرواح أولئك الذين لم يعيشوا بسعادة في هذه الحياة أو ماتوا موتاً عنيفاً وهم كثيرون تقرأ عنهم في نص (ذاك الذي ترك جسمه في السهل، وذاك الذي لم يدفن، وتلك التي ماتت عذراء أو في مهدها أو التي مات طفلها أو ذاك الذي وقع النخلة أو غرق) أو الذين لم يدفنوا دفناً صحيحاً حسب الأصول أو الذين لم يجلب لهم أهلهم وأصدقائهم منذ موتهم

العطايا الجنائزية[١].

والعفاريت أعطيت أسماء كثيرة وهي في أحوال متعددة تحمل معاني القوة أو المسك أمثال الاوتوككو. آلو، الشيدو، العاللو، أو أنها تحمل أسماً وصفياً مثل الأخنحازو (الماسك) والرابيصو (المنتظر) واللاباسو (الداحر) والليلو والانثى اليلتو (الروح الليلية) وأعطوا أوصافا مختلفة أمثال القسوة، لمتعطشين للريح، الطائرين في الفضاء. ومنهم الأدمو والتي هي في الواقع أرواح الموتى اللواتي تركت أجسامهم الأصلية حالاً بعد الموت وبدأت في إنزال الأذى بالأحياء والاضرار بهم. ثم النامارتو عفريت الطاعون والأمراض الخبيثة ومبعوث الإله من كمال إله الموت والعالم السفلي. وغيرهم الاوتوكو التي تعيش في المقابر والصحارى والجبال.

والعاللو وهي العفاريت غير المتميزة الجنس التي تقطن الخرائب والمحلات الخالية غير المأهولة، والرابيصو التي تختفي في أثناء النهار وتخرج ليلاً لإرهاب الناس. والأساكو التي تتغلغل في أجسام الناس، والأخازو واللابرتو واللاباسو التي تهاجم الأطفال على الأكثر. وهناك مخلوقات مركبة نصفها بشر والنصف الآخر شيطان مثل الليلو ذكوردوغا زوجات فنراهم على الدوام يطاردون النساء ويلحقون الأذى بهن ويزرعون الفزع في قلوبهن. ويقابل هؤلاء الأردات ليلي وهم من النساء دونما أزواج لذا أصبحن في ملاحقة مستمرة للرجال من أجل الظفر بهم وإشباع رغبتهن منهم. ومن العفاريت الطيعو، الذي يسبب أمراض الرأس والحمى.

والتعاويذ ضد هذه العفاريت كما صنفت وسميت من قبل الباحثين

(١) Morril Jastrow, The civilization of Babylonia and As- Syria (Philadelphia,. 1915) op.cit. p. 243.

المحدثين تقع في أصناف أهمها الشوريو والمقلو المستندتان الى الحرق والأخرى الاوتوككي ليمنوتي والأشاككي مارصوتي (مرض أشاككي) وسلسلة لا بارتو.

وإن طقس الإله أيا يدور حول استعمال الماء في شتى الأصناف. ثم حرق شكل يمثل العفريت مع قراءة تعويذة أمثال (أنا أحمل الشعلة وأحرق أشكالكم، أشكال الأوتككو والشيدو والرابيصو والأتيمو واللابارتو واللاباسو والاحنخاز والليلو والليليت ورفيقة ليلو. وجميع الشر الذي يملك الرجال. أو جناذب ودخانكم يرتفع إلى السماء وأعضاؤكم سيشمها إله الشمس وهلا يحطم قوتكم مردوخ الساحر الكبير ابن أيا)[١].

ثم يتحولون إلى الساحر والساحرة (في هذا اليوم تقدم لمساعدتي، أخمد المضطرب وأقهر الشر، وكما أن هذه الأشكال ترفرف وتذوب وتتلاشى. هلا ترفرف وتذوب وتتلاشى. هلا ترفرف وتذوب ويتلاشى الساحر والساحرة)[٢].

ولهذا فإن الماء والنار يشكلون العنصرين الرئيسين لطرد العفاريت. ففي طقس أيا المذكور آنفا يأخذ الساحر ماء من دجلة أو الفرات ويرشه على جسم زبونه مع قراءة (بماء طاهر نظيف. وبماء صافي لامع سبع مرات وسبع مرات، رش وطهر ونظف، هلا ترحل الرابيصو الشريرة، هلا يتنحى جانباً، هلا تبقى في جسمي الشيدو الطيبة واللاماسر الطيبة. أؤكد بالأرض)[٣] ويعملون الإشعال كما أسلفنا القول من القامة أو الطين أو

(١) Contenau, Every Day....op.cit.pp. 254-255..

(٢) Maqlu, Tablet I, 135-143..

(٣) Maqlu, Tablet II, 132-135..

العجين. أو البرونز.

وتشتمل طقوس الحرق أيضاً حرق مواد أمثال تمر، بصل، صوف وبذور أو رميها في النار مع قراءة صيغة سحرية مثل (ومثل البصل المقشر والمرمي في النار، المستهلك في النار المشتعلة، لا يزرع في البستان، في الأخدود والحفرة لا توضع، وجذرها لا تثبت في الأرض وساقها لا ينمو ولا يرى الشمس ولا تأتي إلى مائدة رب أو ملك، هلا تؤلم وتؤدي ونفذت اللعنة، مرض، أوجاع، ذنب، أخطاء، تعدي، المرض في جسمي وجلدي وعضلاتي يقشر مثل هذه البصلة ويحرق اليوم في النار المشتعلة، هلا كل العقدة وهلا أرى الضوء[١] هذا وترمى أحياناً الإشعال في الماء بعد قراءة صيغ سحرية عليها. وأحياناً يقيد الشكل من الأيدي والأقدام وتوخز عيونه وتملأ باللعاب ويخرج لسانه أو يربط ويغطي فمه أو يملأ سما أو تراباً أو يشفى جسمه)[٢].

وأحياناً يدهن الساحر جسم زبونه بالزيت ويتلو عليه صيغة سحرية مثل (زيت نقي، زيت لامع، زيت مشرق، زيت يجعل الأرباب مشرقة، زيت يلطف عضلات الإنسان، زيت تعويذة أيا مع زيت تعويذة مردوخ، اصب عليك مع الزيت المشافي الممنوح من قبل أيا لتخفيف الآلام، أمسحك أعطيك زيت الحياة، وبوساطة تعويذة أيا، رب أربو، ساطرد منك المرض المصاب أنت به)[٣].

(١) Paul Haupt, Akkadische und sumarische Keilinschrif- tezte (Leipzig, 1892). p. 90.

(٢) Shurpu series, Tablet V-IV, 60-72..

(٣) Maqlu series, Tablet III, 89-103and Tablet VII, 97-107..

هذا وإلى جانب التمائم التي ذكرناها والتي هي على شكل أحجار وصخور توضع بحلقة وتربط إلى الأيدي والأقدام، هناك خيوط يغزلونها من خرفان صغيرة ويعقدونها بالمراس أو الرقبة أو الأيدي أو أعضاء جسم المريض وحتى حوالي فراشه[١].

وربما يكون أساس تفكير العراقي واعتقاده هذا عدم ثبات بيئته وتغيرات محيطه العنيفة المستديمة والفجائية أحياناً. فالفيضانات الخطير المدمرة والحرارة الشديدة التي تبدأ منذ أوائل مارس وتنتهي بأواسط تشرين الأول والرياح العاصفة الرملية تشكل بعض ما قدمته بيئته إليه.

إلى جانب شكوى الزراع من ضعف قوة الأرض الإنتاجية وعملهم على ترك نصف أراضيهم بورا على الأقل كل سنة أو طلبهم مناطق جديدة تجنباً لأملاح التربة (الشورة) فالعراقي القديم ليس كأخيه المصري الذي أمده محيطه بشعور قوي بالطمأنينة والرضا وعلمه النظام وأشعره بالسعادة. فقد كان المصري القديم يعرف بالضبط مقدرات طبيعته فيعلم متى يفيض النيل ومتى تهب ريح الخماسين القوية فانتظمت لذلك أوقات حصاده وزرعه .

ولكن العراقي القديم لم يجد أي سبب يحمله على الثقة بالطبيعة التي هي بنظره مليئة بقوى مدمرة مهلكة لم تنج منها حتى تربة حقله. فليس من المدهش إذن أن نجده خائفاً من القوى غير المنظورة التي اهتم كثيراً بإرضائها وعمل على تجنبها بشتى الوسائل ولاسيما عن طريق السحر والشعوذة وجعلته مولعاً أيما ولع بالقائه والعرافة. فلم تترك عناصر الشر

(١) Maqlu series, Tablet VII, 31-38..

حتى القمر الذي ينظره رباً من الأرباب حيث تصور العراقي القديم الخسوف نتيجة المقر من قبل بعض العناصر الشريرة فقد ورد في النص (لقد اخترقت الأرباب السبعة الشريرة طوق السماء وتجمعت بغضب حول هلال الإله سن)[١].

ولكن قوى الشر في العالم بأجمعها في نظر العراقي القديم، تظهر في شخص الشريرة تيامات. ولو أن تيامات نفسها في الأصل ربة أنجبت الكثير من الآلهة العظمى القديمة فقد ارتبطت بالشر وأصبحت المخلوق الإلهي الذي يتجسم فيها الشر، شيطانة حقاً أرادت الموت والفناء للكل حتى للشبان من الآلهة، الذين هم أحفادها من أجل راحتها وسلامة الأقربين لها ليس إلا ولكن الإله الشاب، مردوخ جرأ على النزال معها والحرب مع أعوانها وجنودها ولأجل أمه تتصدى تيامات للتحدي الجديد هذا وتهديدات مردوخ المستمرة لها يذكر النص (فقد أحضرت الأفعى والتنين والأسد ذو الرأس البشري والسبع الضخم والكلب المسعور والإنسان العقرب والعفاريت الضخمة يشكل الاسود والذبابة التنين والحصان برأس وصدر إنسان وهم حاملين أسلحة لا تترك أحد (دون أذى) ولا تهاب المعامع[٢].

وعلى الرغم من كل ذلك فقد استطاع مردوخ، الذي حصل على منازلته أمر المجلس الإلهي (بوخور اياني) وتشجيع والده انيل له، دحرها وقطع جسمها إلى نصفين خالقاً من أحدها السماء ومن الآخر الأرض وصانعاً من دمها البشر. فعلى أساس ما جاء في هذه الأسطورة (الأنوما

(١) Jastrow, The civilization...op.cit, pp. 253-254..

(٢) الدكتور سامي سعيد الأحمد، الأصول الأولى... المار ذكره ص ١٨- ص٢٠.

ايليش - من هو في العلى أو قصة الخليقة البابلية) فإن المادة الأصلية التي خلق منها الإنسان هي جزء من شيطان خطر.

فلما كان البشر قد خلقوا من دم تيامات والتي وإن كانت أم الأرباب ولكنها شيطانة نفسها مليئة بالكراهية وحب الإنتقام والعطش للقتل وسفك الدماء فإنهم بذلك مخلوقات يجري الشر في عروقهم. ويمكن النظر إلى تيامات أيضاً كإله مغضوب عليه واندحارها أمام مردو ربما يفسر في حقيقة كون الشر مقدر من الأرباب العظام من ناحية وأنه بالوقت ذاته عنصر زائل في النهاية لا محالة. وأن انتصار مردوخ كان ماحقاً اكتسب شهرة واسعة جعلته يمجد سنوياً في عيد الاكيتو (زاك موك) المشهور الذي يتفق والأيام الأولى من شهر نيسانو (آذار - نيسان) في تقويمهم.

وإن تعاظم أسم مردوخ وقوته، حسب ما تذكر الأسطورة، يرجع سببه إلى ما حققه من نصر في معركته مع تيامات الذي حفظ بها جميع الأرباب الآخرين من الخطر وجعلته بطل الحق والمدافع الحقيقي وخالق البشر. وقد يعمدوا أحياناً خلال هذا العيد لاختيار وتنصيب ملك عوض (شاريوخي) تعطي له جميع سلطات وقوى الملك الحقيقي وصلاحياته من يوم واحد إلى مائة يوم ثم يقتل في آخر النهار ويدفن عند غروب الشمس في احتفالات ضخمة بعد تشييع فخم[1] وهذه العادة في نظرهم تجبر جميع القوى الشريرة والأرواح الشيطانية على عدم الإضرار بالملك الحقيقي طيلة أيام السنة الجديدة ويلجأوا إليها أيضاً إذا ما ظهرت هناك علامة فسرها

(١) T.B. Pritchard, Ancient Near Eastern Texts Relating to the old Testament,. (New Jersey, 1955) story of Grea- tion p. 52, Tablet I, Lines 139-143, George Barton, "Tianat" JAOS, vol. XV (1893) PP. 1-27.

الدكتور سامي سعيد الأحمد، الأصول الأولى... المار ذكره، ص ٢٠.

الكهنة بخطر محدق بالملك الحاكم تتطلب تقديم فدية بشرية له بهذه الوسيلة.

فالرؤوس الكبرى للشر في نظر العراقي القديم سواء أكانت تيامات نفسها مبدئياً أم الشياطين السبعة هم أرباب قبل كل شيء. فمصدر الشر آلهة معينة إذن لا يمكن رد أوامرها وهي ذات قوى خارقة والعفاريت والأرواح الشريرة تتمكن حسب رأي العراقي القديم في أي وقت من إنزال الأذى بالناس وإلحاق الضرر بهم كاصابتهم بأمراض متنوعة وإحلال الرزايا فيهم وإنبات الخوف في قلوبهم وهد سعادتهم. وتتمكن الأرباب التي لا تستقر على رأي واحد ثابت من أن ترسل الكثير من العلامات والإمارات والحوادث الطبيعية وحتى البشرية لتنذر الناس عن كوارث وشيكة الوقوع أمثال البرق والبرد والصقيع والمطر وحتى تكسر أثاث البيت ولدغة النحل وسقوط فرد من العائلة من محل مرتفع الخ. واطلقوا على كل هذه الأصوات النبوية (الاشايوت) يمكن تفسيرها بسهولة من قبل الاشايو[1].

أما العرافة فقد برز العراقيون القدماء بروزاً ملحوظاً واستنسخت نصوصهم في شوشة ونوزي وحاتنوشا وقطنه وخاصور وما إلى ذلك وترجمت إلى اللغات المعروفة آنذاك أمثال العلامية والحيثية. والعراقة تمثل طريقة فنية للاتصال بالقوى الميتافيزيقية التي لها الأثر الكبير في صنع التاريخ سواء جماعة أو الفرد، وذلك عن طريق وسائط متنوعة، وهذه العرافة كانت تختلف من وقت لآخر وحتى من منطقة لثانية. علماً بأن هناك ما هو خاص بالملك فقط والفقير وما إلى ذلك.

(١) Sami said Ahmed, Southern Mesopotamin in the Tire of Ashurbanibal (The . Hague- paris, 1968) pp. 71 FF.

ومن هذه الأنواع ـ كما سنرى ـ ملاحظة الدخان المتصاعد من المبخرة ودوائر الزيت عند صبه في الماء ورمي القرعة مثلاً أن القرعة قد استعملت في العصر البابلي القديم لتقسيم حصص مقاطعة بين الورثة من الأولاد[١].

فاقدم النصوص العراقية الخاصة بالشجم والعرافة وصلتنا من العصر السومري حاملة عناوين أمثال (إذا كانت مدينة على ارتفاع معين) و (عندما الإله آنو وانيل) و (إذا خرب أو بني ايقفور ايبوش). وقد صور اوتو نابيشتوم متبعاً العرافة وكيف أن ملك سيار السومري أنمين دورانكي قد اعتقد بأنه حصل على فنون الفأل ومعرفة المستقبل من الأرباب[٢]، فالعرافة بوساطة صب الزيت بالماء معروف منذ زمن اورروكاجينا، أما الفأل عن طريق فحص كبير الحيوان المضحي فإنه كان معروف على حد رأيهم منذ زمن الملك أنميلو أننا من ملوك ما قبل الطوفان[٣].

ولم يكن بجسم الملك انمين دورانكي أي نقص ولهذا من الأمور الهامة في العراف القديم أن يكون العراف (البارد) خالياً من كل عيب جسماني حيث ورد في النص (العراف الذي من أب غير نقي ونفسه غير كامل الأعضاء أو الملامح كان تكون عيونه غير سليمة أو أحد أسنانه مكسور أو غير كامل الأصابع أو ذا شكل مريض أو بدمله، لا يمكن أن يكون حافظاً لأوامر شماش وأأدا (أرباب العرافة) وعليه أن يمر بمد طويلة من الدراسة والتحضر وأن يكون حالق الرأس تماماً أو بشعر خفيف جداً فقد ورد في النص (الحلاق قد أكمل عليه عمله) وكانوا مرتبطين بالقصر وفي أية لحظة

(١) Kurt selingmann, the mirror of magic (Cambridge, mass, 1948) pp. 23-31..

(٢) A.Leo Oppenheim, Ancient Mesopotamia, (Chicago, 1964) pp. 206-208..

(٣) H. Zimmern, Betrage zur kenntnis der Babylonischen Religion (Leipzig, 1901) p. 116, No 24, lines 1, 23.

يستدعون إليه وكان عليهم تقديم القسم إذ نعرف عن وضعه في نوع من الشبكة[١].

وعرف الباروتي (العرافين) في لكش منذ أزمنة بعيدة وهم منقسمون على أقسام متعددة حسب الأنواع المختلفة للظواهر التي يلاحظونها، ففي زمن أورنانشة نسمع بأن رأس البارو (PA.Azo) قد استنجد يأنكي لكي يحصل على وحي منه حول بناء معبد كرزو. ونعرف أيضاً أن في العهد الذي سبق أوروكاجينا إذا أراد الرجل أن يسقط قطرة من الزيت في ماء لمعرفة إرادة الأرباب فيجب عليه أن يدفع خمس شقلات من الفضة إلى الاشثاكو وشقل واحد إلى الحاكم وشقل آخر إلى الايكاللو الذي كرس نفسه لهذه المهمة.

ونعرف بأن الملوك كانوا يشاورونهم مرة في إرسال إرسالية من الحنطة. ومهنة البارو وراثية لأنه يجب أن يكون (من نسل كاهن وخارج من كاهن طاهر) وعليه أن يلبس الملابس النظيفة في وقت أخذه العرافة ونعرف من الرقم البدائية الأولى من تعز ومن صور الأختام الأسطوانية بأنهم كانوا يؤدون واجبهم عراة الجسم.

. فمن الطرق التي اتبعوها هي تلك الخاصة بفحص كبد الحيوان الهضمي. فعدّوا الكبد مركز الحياة والتي فيها يرى العراف أرادات الأرباب كالمرآة. ويجب أن تكون الضحية لهذا الغرض دونما ثمة عيب. ففي العنجر يقبل الإله نصيحة ويضع الموقد وعلى المنضدة خلف الموقد أربع أواعي من زيت السمسم و ٣٦ رغيف وخليط من العسل والزبد والملح.

(١) E.O James, The ancient Gods, (N.Y. 1960) P. 232.

وبعد رش الموقد يمسك الكاهن بالشخص المضحي من يده ويقرأ الدعاء التالي (فلان هلا يقدم لك الأضحية في الصباح، هلا يقدم نفسه أمام عظمتك الملكية، هلا يكن مسراً لعظمتك بفضل النعجة المتألفة من جلد امل وأقسام تامة).

ثم يأخذ الكاهن حصة الإله وهي الساق اليمنى والكلي وقطعة من اللحم. وفي المتحف البريطاني كبد من الطين مقسم على خمسين قسماً توازي العلامات المختلفة[1]. فبمطابقة الأرباب مع الحيونات يجعل الحيوان المضحي له قدسية ويكتب الصفات المرتبطة بالرب فتصبح أرواح الاثنين متطابقة. فبملاحظة الحيوان من المحتمل أن نلاحظ خطط الأرباب للمستقبل على الأرض. وهنا يمسح البارو جسمه بالدهن ويلبس الأردية الخاصة ويرتل الأدعية إلى شماش وأداد.

فإذا كانت جميع العلامات طيبة ففي هذا الكفاية وإذا كانت العلامات مشكوك فيها فيضمن خروف آخر. وإذا استمرت العلامات النحسة فيذبح آنذاك خروف ثالث. وأن انتفاخ الجانب الأيمن من الكبد علامة طيبة، وإذا كانت المرارة ممسكة بالكبد فمعناه (أن العدو قد أمسك به) وإذا كان الأنبوب الكبدي طويل فمعناه حياة طويلة أو عهد طويل[2].

فقد عرف البارو العراقي القديم أقسام الكبد أمثال قصبه الأعلى والأسفل ومائدتيه وانبوب المثانة والمرارة وأنبوب الكبد وباب الكبد. أجزاء الكبد بأسماء مبتدعة لمشابهتها الأشياء التي سميت بها مثل الأصبع والطريق والفم والقصر والباب والعرش الخ. فالعلامات على الجانب

(١) Contenau, Every Day.... Op.cit p. 281..

(٢) Delaporte, Mesopotamia, (London, 1925) pp..

الأيمن طيبة وعلى الأيسر نحسة، بينما المثانة المتفخة معناه زيادة القوة وانخفاض أنبوب الكبد وهبوط في القوة[1].

وتنص التعليمات بأن (إذا كانت العلامات الطيبة كثيرة والنحسة قليلة فإن النتيجة طيبة) وقد وصلتنا واحدة لأسر حدوث يسأل فيها عن صلاحية زواج ابنته من بارتاتوا ملك السيثيين وكانت نتيجة الفحص الأول غير طيبة ولكن الثانية كانت طيبة وبذلك زوج ابنته[2] ووردنا أول نص من نصوص فحص الكبد من العصر الكاشي وتلك لحمورابي دونما شروح وكلها من مكتبة أشور بانيبال والعصر البابلي الجيد جاءت مليئة بالشروح. وأن الظواهر الهرمية في الكبد سميت بأصابع الكبد كان تقرأ (عندما يكون أصبع الكبد مثل إذن الأسد فإن الخدم سوف يطردون الأمير)، و (وإذا كان أصبع الكبد مثل إذن الأسد فإن الأمير سوف لا يكون له منافسين) و (إذا كان أصبع الكبد مثل رأس الخروف فسوف يكون الأمير ناجحاً[3] وكانوا قبل الدخول في معركة أو وضع اساس لعب أو قصر أو عقد معاهدة مع دولة خرى أو في حالة أزمة أو وباء فآنذاك يؤمر الكهنة بفحص كبد خروف مضحي)[4].

ثم الفأل المستند الى تصرفات وطيران الطيور والكواسر الأخرى، كأن

(١) Sami s. ahmad, characteristics of ancient mesopata- main religions thought. ametzqr, vol 79 (1967) p. 127.

(٢) Morris Jastrow, Die religion Babyloniens und assyrien (Giessen, 1905-12). pp. 213 FF Morris jastrow, "the liver as the seat of the soul" in studies in the history of religions, presented to C.H. Toy (NEW YORK, 1912) PP. 143-168.

(٣) Melssner, babylonien (Heidelberg, 1925) II, pp. 270-1..

(٤) Ibid, p. 273..

نقرأ (إذا مر النسر من جانب الملك الأيمن إلى الأيسر فإن الملك سوف ينتصر أينما ذهب) وقد وصلتنا الكثير من هذه في نصوص قوينجق، وهناك نص في المتحف البريطاني نرى منه أن هناك ستة أنواع من الطيور تحمل التنبأ وهي طير المالك الحزين Igirn وطير اليسوككو وطير الجبل (اصصور شيدي) والنسر (إيرو) ونسر الصيد (كاسسوسو) وطير مكسور أسمه: (إذا بنى مالك الحزين عشاً.. فإن الشخص سوف يكون فقيراً... إذا رأى الناس طير جبل لم يره أحد من قبل في سوق المدينة فإن موجة عالية سوف تقدم... إذا صارت النسور تحوم باستمرار في المدينة فإن المدينة سوف تحاصر، وإذا طارت النسور على طريق الجيش فسوف يحدث اندحار له. إذا أمسك نسر بسمكة أو بطير ثم طلق بعيداً ثم أكل فريسته أمام رجل فإن هذا الرجل سوف يزداد ثرائه... وإذا حلقت نسور كثيرة في المدينة بالوقت نفسه فإن المدينة سوف تهجر)[1] وأن مراقب الطيور (داجيل اصصوري) كان عرافاً[2] لآرائه وزنها. وقد وصلتنا نصوص كثيرة مأخوذة من مراقبة الطيور في أثناء طيرانها عثر عليها في حران (سلطان تيه).

وهناك حيوانات أخرى غير الطير استمد من تصرفاتها مختلف أنواع الفأله، مثل الحية ولاسيما حركاتها في شهر نيسان (إذا سقطعت حية خلف إنسان في اليوم الأول ـ ١٣ نيسان فإن صديقه سيكون عدوه)[3] و (إذا لحت أمضى رجل في بداية السنة، في اليوم الأول من نيسان أو اليوم الأول من آيار وخلال النهار أو في الليل فإن هذا الرجل سوف يموت في السنة

(١) Jastrow, the civilization... op.cit, pp. 255-256..

(٢) David weuberg, An old Babylonian Forunners to shumma alu, Huca, vol. XL-XLI(1969-1970) PP. 87-94.

(٣) Erica Reiner, "Fortune Telling/in/Mescpotamia" JNES, vol, 19 (1960) pp. 28. FF.

نفسها. إذا لحته الأفعى في اليوم الاول حتى اليوم الخامس عشر من شهر آيار فإن أيامه تصبح قصيرة وسوف يلاقي أذى. إذا سقعت أفعى خلف أو أمام رجل في شهر حزيران فستحدث له خسارة. إذا صادف رجل أمضى في شهر شباط خلال فصل البرد، فإن الناس سيبيعون أطفالهم وأملاكهم من أجل الفضة. إذا صادف رجل أفعى في شهر آذار فإن الظلمات سيغمرها الضوء)[١].

و (إذا هاجمت حية إنسان وأمسكت به وعضته فإن عدو الشخص سيصيبه الأذى. وإذا مرت حية من جانب الإنسان الايمن إلى الأيسر فسوف يكون له أسم طيب. وإذا مرت من جانب الإنسان الأيسر إلى الأيمن فسوف يكون له اسم سيء. إذا ظهرت حية في مكان تقف به امرأة وزوجها وهما يتكلمان فإنهما سوف يتطلقان، إذا استمرت حية تحفر في بيت إنسان، فإن ذلك البيت سوف يتهدم أو يخرب) ويستمر النص نفسه بذكر علامات فأل أسردت من حركات حيوانات أخرى غيرها امثال الكلب والنحل والحصان والثور والعقرب والثعلب وأبو عرس (إذا قتلت عقرب حية في بيت إنسان، فإن أولاد صاحب البيت سوف يقتلوه وسوف يموت. إذا قتل أبو عرس حية في بيت إنسان فإن هذا معناه وصول شعير وفضه. إذا سارت عقرب في فراش رجل فإنه سوف يثرى. إذا وقفت عقربة على رأس فراش رجل مريض فإن مرضه سوف يتركه. إذا وطأ إنسان دونما شعور على أم بريص وقتلها فإنه سوف ينتصر على أعداؤه.

إذا كان النمل كثير عند مدخل البوابة الكبيرة فإن هذه معناه سقوط المدينة. إذا كان النمل يقتل بعضه بعضا، عاملاً معركة تعدم للعدو

(١) Hooke, op.cit, p. 88..

وسيكون فشل لجيش عظيم. إذا كانت هناك كثرة في النمل الأسود المحتج بمعناه كثرة مطر وفيضانات. إذا كان القرن الأيسر لجاموس يبرز باستقامة أكثر من الأيمن فإن إلا مطبل سوف يصبح واسعاً. إذا كانت هناك دموع تخرج من عيني الجاموس فإن الشر سوف يصل صاحب الجاموس. إذا ركب إنسان حماراً فمعناه أن ذاك الرجل سوف يباع أو ستصيبه أيام صعبة. . . إذا دخل حصان بيت رجل وعض حماره أو رجلاً فإن صاحب الدار سوف يموت وأثاث بيته يتناثر. . . إذا ركض ثعلب في الساحة العامة، فإن تلك المدينة سوف تتخرب، إذا صار الخنزير يصر باسنانه فإن تلك المدينة سوف تتبعثر، إذا حملت أنثى الخنزير وولدت ثلاث برؤوس بيضاء وذيول سوداء فإن أثاث منزل ذلك الرجل سوف يرهن على فضة.

إذا . . . رفع كلب أبيض ترد على رجل فإن ذلك الرجل سوف يصادف أوقات صعبة. وإذا بول كلب أحمر على رجل فإن ذلك الرجل سوف يسعد. وإذا اعتلى كلب على كلب بآخر فإن النساء سوف يكن سماقيات. . . إذا كان السمك كثير في الماء فإن البلاد سوفِ تحيا بسلام. .[1].

وفي نص آخر تقرأ عن إشارات سحرية أخرى تحملها الحيوانات والحشرات الخ، (إذا دخل كلب أحمر إلى المعبد فإن الآلهة ستهجره، إذا وجد كلب مصطجع على عرش الملك فالقصر سوف يحترق، أذا دخل كلب أبيض المعبد فإن المعبد سوف يبقى عامراً لمدة طويلة، إذا دخل كلب أصفر قصر الملك فالقصر سوف يهدم)[2].

(١) الدكتور وليد الجادر، نظرات في مباحث ومؤلفات، سومر مجلد ٢٦ (١٩٧٠) ص ٤٠٩.

(٢) Saggs, The Greatness....op.cit, pp. 322-324.

والطريقة الأخرى التي يلجيء لها البارو هي الزيت في وعاء للماء يحمله في حضنه كيما يعرف منها إرادة الأرباب سواء بالنسبة للبلاد أو الفرد وذلك بمراقبته لحركات الزيت بالماء سواء في علاقته مع السطح أو مع حافة الوعاء. وقد وصلتنا ثلاثة رقم من العصر البابلي القديم يظهر أنها لم تستنسخ ثانية بل اقتطف منها في نص آشوري[١].

فإذا كونت دائرة كاملة مثلاً وتحركت نحو الشرق فهو فأل حسن وإذا انكسرت فسيء[٢] وفي أحد النصوص من سلالة بابل الأولى نقرأ (إذا كون الزيت حلقة واتجهت نحو الشرق وبقت غير مكسورة - فإذا كانت المسألة متعلقة بسفر فإني سوف أذهب بها وآكل جزء (أخذ حصة من الربح) وبالنسبة لمريض فسوف يشفى) و (عندما تتكون حلقتين، أخرى صغيرة فإن الزوجة ستلد ولداً وسوف يشفى المريض، وعندما ينتشر الزيت ويملىء الكوب فإن المريض سيموت وسينتهي السفر بموت)[٣].

وإن معلوماتنا مع الأسف في فن العرافة المستندة الى حركات الدخان المتصاعد من مبخرة يضعها البارو في حضنه قليلة جداً لا تلقى ضوء كافياً على أصوله وتعاليمه. فقد وردنا عنه نص قديم من نعز وآخر يعود سلالة بابل الأولى[٤].

ثم طريقة الفأل بفحص أعضاء البدن الداخلية الأخرى مثل الرئتين والقصبات الهوائية والأمعاء والمثانة والمرارة والكلى. وتسمى طريقة إخراج

(١) الدكتور سامي سعيد الأحمد، الأصول الأولى... المار ذكرها ص ٢٣.

(٢) Oppenheim, Ancient Mesopotamia..... op.cit, p. 212..

(٣) Sami s. ahmad, characteristics.... Op.cit p. 127..

(٤) Melssner, Babylonien...op.cit, II, 275 FF..

والأحشاء للفحص باسم الأحشاء المطوية (إيرري ساخيوتي) فمن شكل ولون وعدد الأحشاء وحا القلب يستنتج العراف نتائجه وأحياناً تظهر الأحشاء وكأنها وجه مكفهر ويطلق عليها آنذاك اسم وجه خومبايا. ونقرأ مثلاً (عندما تضم الاحشاء المرارة فإنها علامة فال ظهرت لسرجون الذي على قوة هذا الوحي أخضع عيلام وأحاطهم وقطع تجهيزاتهم[1]. وفي نص حول الكلية تقرأ (عندما تكون الكلية اليمنى مخربة فإن الأمير سيموت)، و (عندما تكون الكلية اليسرى مخربة فإن أميرة العدو ستموت)[2].

وإلى جانب هذه العلامات التي تظهر عند الولادة، فإن كان هناك شكل غريب في الرأس فيقولون أن المرأة ولدت أسداً. وهذا يقترح فكرة فكرة القوة وهي علامة طيبة للبيت والأرض. وإذا كان رأس مولود يشبه ذاك لحمار أو خروف فهو علامة طيبة، أما إذا كان يشبه ذاك لكلب أوجه فعلامة غير طيبة[3]. وإذا كان للمولود أقدام بطة فسوف يصبح قوياً أي أن قدميه عريضة ومليئة طيناً تحمله من الأرض.[4] وقد أطلق على هذه النصوص الفألية اسم شومما إزبو على اسم أول عبارة فيها. وإن الأربع رقم الأولى من هذه السلسلة تسطر إلى جانب المستمدة من الأطفال المشوهين أخرا من ولادة أكثر مولود احد أو حوادث عند الولادة وبعض أشكال الأفراد المجزة أمثال العميان والطرش والمقعدين، أو كثرة التجار أو الطباخين أو العرافين بالمدينة وفي واحدة.يذكر وجود نساء في المدينة

(١).. Oppenheim, Ancient Mesopotamia... op.cit, p. 212.

(٢).. Melssner, Babylonien...op.cit. II, p. 212.

(٣).. Hooke, op.cit, p. 92.

(٤).. Delaporte, op, cit, p. 154.

بلحى مثل الرجال[1].

ووردتنا مجموعة من نصوص الفأل المستمدة من البيوت إذ نقرأ (إذا كان تأسيس البيت في شهر نيسان فإن هذا البيت لن يجلب الفرح لصاحبه. إذا كان تأسيس البيت في النصف الثاني من شهر نيسان كان حوادث الموت تكون متتالية فيه. إذا كان تأسيس البيت في شهر آيار فسوف تحدث كوارث فيه. إذا كان تأسيس البيت في شهر حزيران فسوف يعظم صاحبه. إذا كان تأسيس البيت في شهر تموز فسيكون نصيبه الكمال. إذا كان تأسيس البيت في شهر آب فسيكون لصاحب البيت أطفال. إذا كان تأسيس البيت في شهر آيلول فإن الربة عشتار سوف تمهله في سلب ثروته. إذا كان تأسيس البيت في النصف الثاني من شهر أيلول فإنه سوف يتهدم. إذا كان البيت في شهر تشرين الأول فإن إله صاحب البيت لن يكلف عن حراسته. إذا كان تأسيس البيت في شهر تشرين الثاني فإن استثار أمواله سوف ينجح. إذا كان تأسيس البيت في شهر كانون الثاني فإن صاحب البيت سوف يمرض ويكون عليل الصحة. إذا كان تأسيس البيت في شهر شباط فإن البيت سيظل بلا سقف. إذا كان تأسيس البيت في شهر آذار فسوف يكون صاحب البيت سعيداً جداً)[2].

علماً بأن شهر نيسان خاص بالإله آنو وانيل، أيار خاص بالإله أيا وشهر حزيران خاص بسن وشهر تموز خاص بنيتورتا، وشهر آب خاص نكيشزيدا وشهر أيلول خاص بالربة عشتار، وشهر تشرين الأول خاص بماش وتشرين الثاني خاص للإله مردوخ، وشهر كانون أول خاص بزكال

(١) F.R.Kraus, Die Physiognimischen omina der Baby- lonier (Leipzig, 1935) p.. 36.

(٢) Oppenheim, Ancient Mesopotamia.... Op.cit pp. 222-223..

وشهر كانون ثاني شهر الإله بايسوكال وزير الإله آنو وشهر الآلهة السبعة العظام أما شهر آذار شهر الآلهة السبعة العظام آذار الإضافي فهو شهر الإله آشور.

ونجد في سلسلة أنوما أنا بيت مارحي آشيبو! يلليكو عدداً من نصوص الفأل المأخوذة على الشخص المريض منها (إذا رأى الآشيبو) في الطريق إلى المريض جرة موضوعاً فهذا فأل يهب. وإذا وجد منقلة فإن المريض سيمون. إذا رأى خنزير أسود فإن المريض سيموت، إذا رأى خنزير أبيض فسوف يعيش المريض. وإذا رأى خنزير يذيل واقف فإن المريض لا يخاف شيء إذا رأى رجلا أعمى فإن مرضه سوف يزيد، إذا سار صقر إلى جانبه الأيمن سيشفى. إذا كان نسر يسير على جانبه الأيسر فإن المريض سيموت. إذا نبح الذئب إلى يسار الرجل فإن المريض سيشفى وإذا نبح الذئب عند الفجر إلى يمين الرجل فإن المريض سيموت. إذا وقفت حية على فراش المريض فإنه سوف يشفى. إذا وقعت حية على فراش المريض في اليوم الثالث فسوف يموت. إذا وقعت حية على المريض نفسه فإن مرضه سوف يطول ولكنه سيشفى[1].

وهناك نصوص فال مستمدة من أمور كثيرة غير ما ذكرنا أمثال تلك المستندة الى ملاحظة خيول عربات الملك لمختلف أنواع الفأل الخاصة بالبيت المالك.

التنجيم: بالواقع أن التنجيم والتنبؤ عن المستقبل أتى متأخراً في تاريخ العراق القديم ولو أن البروج اليونانية الاثنى عشر ما هي إلا تحوير للرموز

(١) الدكتور الجادر، نظرات... المار ذكره، ص ٤٠٨-٤٠٩.

البابلية الأولى. فاقدم خارطة لبروج السماء Horoscope ترجع إلى حوالي سنة ٤١١ق.م. وربما تعود مجموعة عندما آنو وانيل إلى العصر السومري بدليل ذكرها تقسيم العالم إلى أربع أقسام (أكد، عيلام، سوبارتو، وعيلام) الذي لا نجده في العصور التلاية وذكرها للملوك أمثال ريموش وأبي سي والحيثين والأخلامو،علماً بأن إضافات قد كفت بها في العصور التالية. فكانت الزقورات تستخدم في العابد لملاحظة الكواكب. وكان في المعابد أيضاً غرفة خاصة للنجمين تسمى بيت تامارتي (بيت المراقبة) إذ نقرأ مثلاً (في اليوم ٢٩ من الشهر راقبنا القمر أنه يوم تتلبد بالغيوم لم تر القمر فيه. وأن المقالة السابقة (أنوما آنو انيل) جاءت في أربعة فصول خصصت إلى الحركات الفلكية والشمس والزهرة (فينوس، عتار) وأداد. وتشرح معنى حركة النجوم ومواضعها في السماء والاضطرابات الفضائية[١].

وطابقوا المشتري مع مردوخ والزهرة مع عشتار ومارس مع مزكال والمريخ مع نابو وزحل مع الإله ننورتا، وعدّوا بعضها نحس وآخر حسن الطالع ما لحريخ يرمز للذكاء وزحل حسن الطالع ومارس سيء الطالع وما إلى ذلك[٢]فالأبراج الاثني عشر لها أسمائها فالحمل (Kn, Sarikkn Inmisara كو، ساريككا، إغي سارا) والثور (Te- Te, Gud- Anna) والجوزاء (تواما) والسركان (يوموككو، أللول) والأسد (آرو، أورماخ، أوركولا) والعذراء (شيرو، ديلكان) والميزان (زيبانيتو) والعقرب (أقرابو) القوس (با، بابيلكاك) والجدي (آنزو) والدلو (كو، كو أننا) والحوت (نونو، نون شامي (؟)[٣].

(١) F.W.Goors, A Babylonian omen Text, AJSL, Vol, 43, (1927) pp. 22 FF..

(٢) Rene Taton Ed, A General History....op.cit, pp. 71-72..

(٣) Sami s. ahmad, characteristics.... Op.cit p.127..

فالقمر غالباً، أول الكواكب التي راقبها العراقي القديم لقربه من الأرض وتغييراته الملحوظة والاعتيادية علاقة في ذلك. فهناك الكثير من نصوص الفأل المستندة الى القمر وتحركاته وأشعاله وخسوفه وعلاقته بالشمس الخ. تتوأ :

إذا ظهر القمر في اليوم ٢٧ كما في اليوم الأول فهو شؤم على علام. وفي اليوم ٢٨ فهو شؤم على عمورو.

إذا ظهر الشمس والقمر سوية في اليوم ١٢ فمعناه، نهاية حكم السلالة، خراب للرجال وأن السارق سوف يقطع الرأس.

إذا ظهر الشمس والقمر سوية في اليوم ١٣ فمعناه عدم استقرار والتجارة سوف لا تزدهر في البلاد.

إذا ظهر القمر الشمس والقمر سوية في اليوم ١٤ فمعناه رجاء والبلاد سوف تكون سعيدة وتنظر الأرباب لأكد بسعادة والنهوض يستبشر الناس وتنام القطعان بسلام في حقول بلاد أكد[١].

وعندما يكون القرن الأيمن من القمر عند ظهوره طويلاً وقرنه الأيسر قصراً فإن الملك سوف يغزو بلاداً أخرى.

وعندما يكون القمر كبيراً عند ظهوره فإن خسوفاً سوف يحدث وإذا كان لامعاً جداً عند شروقه فإن محاصيل البلد سوف تنتعش.

وعندما يظهر القمر في اليوم ١٣ من تموز فسوف يحدث خراباً في البلدان.

(١) R. Campbell Thomson, the reports of the magicians and Astrologers of Nineveh and Babylon in the British Museum (London, 1900) p. xxiii.

وعندما تكون (شاورو) لامعة جداً فإن الملك أكد سوف تنتهي أعماله.

وعندما يكون القمر كاملاً عند شروقه فإن الملك سوف يزداد علواً.

وعندما ظهر القمر في الأول من كساليف فإن ملك أكد سوف يدمر الأراضي.

عندما يختفي القمر فسوف يقطع شر على البلاد.

عندما يكون القمر غير مرأي مع وجود هلالين (ظاهرين منه) فستكون عداوات في البلاد.

عندما تقف الشمس ضمن هالة القمر فسوف تتكلم البلاد جميعها الصدق. وعندما تحيط الهالة القمر والسرطان يقف ضمنها فسوف يطول عمر ملك أكد.

عندما تحيط هالة بالقمر وفي وسطها المشتري فسوف تغزو البلاد جيوش أخاررو.

عندما تحيط هالة القمر وفي وسطها مارس وكرت موت في القطعان ولا تنجح زراعة النخل.

عندما تحيط هالة بالقمر وفي وسطها زحل ويكون كلام الصدق في البلاد.

عندما تحيط هالة بالقمر وفي منجم وسطها فإن جيوش الملك سوف تحاصر.

إذا احاطت هالة كبيرة بالملك فإن اضطرابا عظيما سيحل بالبلاد.

عندما يظهر القمر في اليوم الذي تتوقعه فسوف تنخفض (أسعار الأسواق).

إذا ظهر القمر والشمس في يوم ١٣ فسوف تكون البلاد في هدوء، أما في اليوم ١٥ فإن عددا قديما سوف يشهر سلاحه ضد البلاد.

عندما يكون ظهور القمر مصحوباً بهبوب ريح جنوبية فسوف يكون ذبح ٤ أخاررو.

عندما لا يرى الشمس مع القمر في يوم ١٤ أو ١٥ شباط فمعناه فيضان عظيم. وعندما لا نرى القمر مع الشمس في ١٤ آذار فخراب الأور[١]. وخسوف القمر فأل سيء (لقد عين أنيل كل من سن وشماش وعشتار ليسيروا السموات بالطريق الصحيح ولكن الشياطين السبعة أحاطوا القمر وبذلك جروا عليه الخسوف. فرأى انليل كرب سن فأرسل رسوله نوسكو لإخبار أيا بذلك فعرف بالموضوع. وعندما سمع أيا بذلك في المحيط امتلأ فمه حزنا. وعض شفتيه).

ويعدّ خسوف القمر خير مناسبة للقيام بطقوس لحماية المدينة من الشرور المتصلة بهذه الظاهرة. وفي يوم خسوف القمر يضع كهنة معابد تيرانا مذبحاً (كاراككو) في باب معبد أربابهم. وعندما يتلاشى ضوء القمر يصيحون بأن لا يقترب القتل والثورة والمصائب والخسوف إلى الوركار. وكان الكهنة في يوم خسوف القمر يخرجون الآلات الموسيقية من المعبد وذلك لزرع الأمان وعدم الخوف والقلق في نفوس الناس خلال تلك الأزقة والكلام غير الاعتيادي. ويدقوا على الطبل الصغير (ليليسسو) ومن

(١) Melssner, Babylonien.... Op.cit, II, pp. 248-249..

الآلات التي يخرجوها البوق (الخالخا لاتو) والعود المقدس (ايرشيما) وألوان القمر في الخسوف مهمة وتكون مصادر الفأل.

ووردتنا الكثير من الفؤول المستندة الى القمر في الرسائل الملكية من العصر الآشوري المتأخر. فظهور القمر بأول الشهر عندما يكون النهار طويل هو فأل طيب عندما يظهر القمر باليوم الأول فإن قلب البلاد سيكون مسروراً. وعندما يكون اليوم بالنسبة لقياسه طويلاً فسيكون هناك حكم طويل وعندما يكون القمر عند بزوغه كأن يحمل تاجاً فإن الملك سوف يصل عنفوان مجده[١].

وظهور القمر في نيسان مع الزهرة عدّ فألاً طيباً أيضاً (عندما تظهر الزهرة في بلاد بابل مع القمر في شهر نيسان أو أي يوم لا يتقرب فيه فإنه بالوقت نفسه فأل حسن)[٢] وفي رسالة أخرى تقرأ (إذا ظهر القمر وكان العقرب قرب الأيمن فإن الجراد سوف يعبث طوال السنة ويأكل محصول الحصاد وسوف يقتل ملك علام وينتهي حكمه ويأتي عدوه ضده وينهب بلده وسوف يقع في يد الملك صولجان عظيم ويطول حكمه وإذا اعتدى عليه عدو فسوف يقهر)[٣].

وترينا الفؤول من الرسائل الآشورية كون التفاؤلات من الشمس كلها معادية فالكسوف شر وخروج ما يشبه الدخان من الشمس عند شروقها

---

(١) R. Campbell Thomson, the reports..... op.cit. Texts No 30, 31, 38, 43, 48, 85, 90, 91, 92, 99, 100, 101, 112, 119, 120, 156, 157, 166, 170, 191.

(٢) Hooke, op.cit, p. 96.

(٣) Leroy Waterman, The Royal correspondence of the Assyrian Empire (Ann Arboor) vols 1-4 Letter No, 1373.

بالربيع نذير شر إذ أن أداد سوف يفرق البلاد وعندما تصعد الشمس في مدارها فمعناه الحرب(١).

وتقرأ أيضاً في نصوص أخرى مع أن إحاطة الشمس بهالة معناه سقوط المطر وعندما تقف الشمس في محل القمر فإن الملك سوف يستقر على عرشه(٢).

ثم التفاؤلات المأخوذة من حركات الكواكب المختلفة حيث تقرأ مثلاً (عندما يقترب العقرب من امام القمر ويقف فان الملك سيطول عمره وأن عدوه سوف تقدم عليه. وعندما يظهر المريخ لمدة شهر طعناه فيضان ومطر. وعندما يظهر المريخ في شهر أيلول فسوف تنشط حركة السوق وتصعد أسعار المحصولات. وعندما يقترب مارس من القمر ويقف فإن القمر سوف يسبب شر إلى سكان البلاد. عندما يقترب مارس من العقرب فسوف يموت الأمير بلدغة عقرب ويأخذ إليه العرش بعده(٣).

وفي الرسائل من العصر الآشوري المتأخر نقرأ عن علامات فأل طيبة تحصل من مركز المشتري عند ظهورها في طريق آنو وانليل، وبرسالة تقرأ عن مقابلة المشتري للكسوف الشمسي وكونه فأل طيب للملك ويتوقف الباطل في البلاد، وعندما يكون المشتري خلف القمر فسوف يكون هناك عداء في الأرض(٤).

---

(١).. Ibid, Letter No. 1383.

(٢).. Ibid, Letter No. 1214.

(٣).. Ibid, No. 1435, 405, 1391.

(٤).. R. Campbell Thomson, the reports..... op.cit. No.173 and 176.

ونقرأ عن النقمة لظهور المريخ (إن ظهور المريخ سوف يتم قريباً، ستأتي نقمة عظيمة إن الإله أداد قد فتح فمه)[1] وأدى زحل دوراً ثانوياً رؤية الزهرة، أما بشارة خير على الدوام وإذا كانت الزهرة مرتبطة مع ظهور القمر في نيسان فهو فأل طيب أيضاً[2].

والتفاؤلات المأخوذة من الرعد والبرق والمطر والرياح (فإذا أسمع الإله أداد صوته للكل في عيد نيسان فإن العدو سوف يوقف أما إذا كان بتموز فإن الزراعة سوف تزدهر)[3] فأهمية الرعد تعتمد على الشهر الذي سمعت فيه (إذا سمع الإله أداد صوته في شهر آذار فإن البلاد سوف تثور على الملك وعندما ترعد مثل الكلب الكبير فإن الشييون سوف يهجمون).

وعن البرق (إذا كان هناك برق ليلاً في الجنوب فإن أداد يسبب فيضانات، أما إذا كانت بالليل في الشمال فإن أداد سوف يسبب فيضانات في بلاد الكوبتين).

وأهمية المطر تعتمد على يوم حدوثه من الشهر، وظهور قوس قزح في المدينة فسر كفأل طيب على المدينة نفسها والملك والنبلاء[4] ونقرأ عن العواصف أنها مقرونة بالتفاؤلات الحسنة على الدوام[5] وفسرت الريح الجنوبية كفأل حسن لأنها فعلاً تحمل دوماً المطر في العراق بينما فسرت ريح الشمال كفأل سيء لأنها جافة في العراق[6].

(١).. Ibid, No.213, 222.234.239

(٢).. Waterman, op, cit Letters, No, 744, 46, 565

(٣).. Ibid, No 657

(٤).. Ibid, No 1383

(٥).. Hooke, op.cit, p. 97

(٦).. Hooke, op.cit, p. 97

وعدّت الزلازل تفاؤلات سيئة نحسة إذ تقرأ (عندما تهز الأرض طول النهار فسيكون خراب للأرض وينهب العدو الأرض. وعندما تكون هناك هزة أرضية في نيسان فتتكون هناك ثورة ضد الملك وعندما تكون هزة العدو سوف يهجم ويجلس على العرش أمير جديد)[١].

و(عندما تحفز الأرض طول النهار فإن الأمير سوف يحمل بعيداً)[٢] وعدّوا ولادة الخنثى (السينيشتو اوو زاكارو) فأل سيء ليودي بالقبض على الملك[٣].

وعدّوا بعض الأيام نحسة واخرى طيبة إذ نقرأ في إحدى الرسائل المرسلة إلى الملك الآشوري ما نصه (عن الأيام الحسنة التي تكلم عليها سيدي الملك هي اليوم العاشر، الخامس عشر، السادس عشر، الثامن عشر، العشرون، الثاني والعشرون، الأربع والعشرون، السادس والعشرون، كلها ثمانية أيام في شهر آيار وأنها حسنة للسؤال وعبادة الأرباب، ومنها اليوم العاشر طيب للمحاكمة والخامس عشر للحرب والسادس عشر لواحة القلب والثامن عشر لمعرفة المستقبل وليقتل ثعباناً في اليوم العشرون واليوم الثاني والعشرون طيباً للسفر والرابع شعر لالتماس الإله والطلب منه[٤]. وعدّوا شهر أيلول حسناً واليوم الثاني منه يوم طيباً لأخذ الفأل إذ كانوا يراقبون الطيور من على سطح المعبد[٥].

---

(١).. R. Campbell Thomson, the reports..... op.cit. No. 250.

(٢).. Waterman, op, cit. No. 1237.

(٣).. R. Campbell Thomson, the reports..... op.cit. No263, 265, 267.

(٤).. Waterman, op, cit. No.34.

(٥).. Campbell Thomson, the reports..... op.cit. No276.

الذنب: ونقرأ في النصوص الطقوسية كالأدعية والرقي التي منها سلسلة الشوريو بأن مختلف الأسباب لدخول المرض إلى الإنسان وغضب الأرباب هي نتائج ذنب الشخص. ففي نص تقرأ عن أسباب الذنب التي وضعت على شكل أسئلة (هل أنه أذنب ضد الإله، هل أن جريمة ضد ربه هل هو عمل خاطيء ضد سيده؟ أو كره ضد أخيه الأكبر أو ارذري أباً وأماً؟ أو أهان أخته الكبرى؟ هل أعطى قليلاً تملك كثيراً؟ هل قال لا لنعم، نعم للا؟ هل استعمل أوزاناً مزيفة؟ أو أخذ ما ليس له دون أخذ حقه؟ هل وضع حداً مزيفاً أو أزاد حداً. . . هل استحوذ على زوج جار له؟ هل سرق لباس جاره؟ هل أنه صريح بكلامه ولكنه كاذب في قلبه؟ هل يقول نعم في فمه ولا في قلبه)؟ وتذهب القائمة إلى تعداد أكثر من مائة ذنب دعي مردوخ لتخليص صاحب الدعاء منها.

وهذه دون شك ما عدّه العراقي القديم ذنوباً ولكنها ربما وصفت في عصور متأخرة عندما ظهرت هناك مبادىء عليا للحق والباطل. ولكن المزج بين المبادىء الخلقية والطقوس المقدسة هي ميزة بابلية وآشورية. فالدعاء إلى عشتار التي يسأل المتعبد فيها الربه أن (تعفو عن ذنبي... وأعمالي المخجلة وذنبي وتصفح لي عن ذنبي وتتقبل دعائي) ينتهي بصب الماء الطاهر وحرق الأعشاب الذكية الرائحة وبعض الأضاحي. ثم الدعاء (الذي اقترفته حوله إلى طيب، والاعتداء الذي عملته أجعل الريح لتحمله بعيداً، لقد نزعت عني ذنوبي كما أخلع الرداء، يا ربي أن ذنوبي سبع مرات سبعة انزع عني ذنوبي).

واعتقد العراقيون القدماء باحتمال ترك الأرباب المدن (كما يعتقد الصائبة في العراق اليوم يترك الأرباب الماء خلال أيام عيد الكرصة لذا يغدو الماء غير صالح لأي استعمال لخلوه من عنصر الطهارة) نتيجة اقتراف

مكانها ذنوباً لذا فتعلن حال الحزن العام بطقوسه المعروفة منذ أقدم الأزمان وفرض على الناس فيها أحياناً الصوم وطقوس السحر الحزينة[١] ويتكلم الملك في مثل هذه المناسبة عادة وينطق الحزن بلسان شعبه على الكثير من الأدعية والتعاويذ والالتزامات المرفقة. وفي الكثير من الأحيان نسمع الفرد بدعائه يستنجد لأن يعرف ذنوبه (لا أعرف الذنب الذي ارتكبته ولا الخطأ الذي اقترفته) ويظهر منها بأن أقل الأشياء التي قد لا يعرفها الشخص ربما تجد عليه غضب الرب. ونقرأ أيضاً من قصة أيوب البابلي بأن ما قد يكون خيراً في عين الإنسان ربما يكون شراً في نظر الله وبالعكس. وهذه تؤيد القول بكثرة الأمور التي قد تجلب غضب وسخط الأرباب على الفرد[٢].

وبوسط ما تصور الإنسان نفسه محاطاً بشتى أنواع القوى المؤذية التي تهاجمه نتيجة اقترافه شتى أنواع الذنوب فقد حمى نفسه لنظام يتكون من الطقوس والتطهير والغفران والسحر والعرافة مركزة كما أسلفنا حول مدينة اريدو وربها أيا ، المدينة الطيبة كما عرفها البابلي حيث مركز وهي أيا وحيث الشجرة كيشكانو المقدسة في ذلك الربع الطاهر (الانكوررا) كما أوحي لأداء الإنسان الأول وملك أريدو الكاهن. ومن مياه هذه المدينة تكونت السيبتو (Siptu) أي لعنة الكفارة والتي أهم رقية في السحر[٣].

وإن الإله الحامي في نظر العراقي القديم هو المسؤول عن الذنوب التي يرتكبها الفرد. فكاتب لكش عندما يندب خراب مدينته وانكسار

(١) Waterman, op, cit. No.1140..

(٢) Ibid, No1278..

(٣) Morris Jastrow, Aspects of Religions Belief and Practice in Babylonia and Assyria (London, 1911) pp. 319 FF.

اروكاجينا تقرأ قوله: (ليس هناك من ذنب ارتكبه أوروكاجينا، هلا تتحمل الربه نيسابا ذنب لوكال زاكيزي على رأسها)، وعندما يغضب الرب الحامي على عبده ينسحب عن حمايته،نتيجة اقتراف الفرد ذنباً، وآنذاك تنقض عليه العفاريت. فقد اعتقدوا بأن الرب يعيش طيلة مدة حمايته لعبده في جسمه. وتقرأ (فالذي لا إله له تدخل جسمه العفاريت جالية معها الآلام والأحزان) (إن الذي لا إله له فإن وجع الرأس يغطيه كالرداء عند سيره في الشارع) ولأجل أن يرجع إلى حاله الأولى الاعتيادية فيكون ذلك عن طريق السحر والأضاحي وطقوس التطهير[١].

الأحلام: اعتقد العراقي القديم بأن ما يراه الشخص في حلمه حدث سيقع عليه.وعلى الفرد أن يجتهد بالحصول على من يفسر ذلك الحلم له. والمفسر للحلم آنذاك يجب أن يكون ذا اتصال بالأرباب نفسها عن طريق الكهنة ذوي الاختصاص (السقالو، السقاليتو) أو كما في حال كلكامش إلهاً آخر يعرف نوايا إخوانه الأرباب وأسرار المستقبل .

والأحلام ترسل من الآلهة نفسها، وان الذي يتمكن من أن يرد شرورها بالالتماس إلى الأرباب نفسها بالدعاء الخاص. ومن الأدعية المعروفة في العراق القديم بهذا الخصوص الدعاء التالي الذي يخاطب به الشخص الحالم إلهه قائلاً (وعن الحلم الذي تعرفه أنت ولا أعرفه أنا، فإن كان طيباً فلا تحرمني من طيبة وإن كان سيئاً فلا تجعل شره يصلني).

وكثيراً ما كانوا ينظرون إلى الأحلام كحوادث حقيقية واقعة. ولنا من الفلكي البابلي بيل دانو Bel- Idannu من العصر الأخميني خير مثل حيث

---

(١) H.Zimmern, Die Keilinschriftliche und das Alte Tes- tament (Leipzig, 1903). pp. 609 FF.

دون رؤيته بأحلامه لنجوم وكواكب مختلفة خمس مرات خلال ثلاثة أشهر (مع تواريخهم) كحقائق ثابتة. وهناك نص من العصر الكاشي عثر عليه في مدينة نفر يحوي على سلسلة من الخبرات لوحظت جميعها في الأحلام.

فالأحلام التي أتتنا من العراق القديم بصورة عامة سواء مفسرة أم لا يمكن تقسيمها على ثلاثة أصناف هي:

أحلام تظهر بها الأرباب أرادتها التي تحتاج أو قد لا تحتاج إلى تفسير.

أحلام تظهر لنا وضع الشخص الحالم العقلي وسلامته الروحية والجسمية.

أحلام تنبؤية.

وأن غالبية الأحلام التي وردت إلينا هي من النوع الأول والتي قسمت إلى نوعين إخبارية ورمزية. ونلحظ بأن الأحلام الأخبارية (سواء كإنذار أو أمر إلهي) قد وضعت في عبارات مفهومة واضحة لا تحتاج معها إلى أي تفسير. فينادي الإله الشخص الحالم باسمه (حيث يكون واقفاً عند رأسه جميل الشكل وبحجم غير طبيعي) ويملي رسالته عليه .

أما العملية الرمزية بحد ذاتها فهي وظيفة تدل على صلة مع العالم الخارجي حيث أن حدود الإنسان التفكيرية دائبة الحركة تمتد إلى ما هو أعمق من ظاهر غلافه الخارجي. ونجد في ملحمة كلكامش التأكيد على طاعة الوصايا والرسائل التي تحملها مثل هذه الأحلام. فعدم اهتمام كلكامش لأنذار أتاه في حلمه مرة يعود إلى إقناع انكيدو له بذلك.

وعندما أصرأنكيدو على كلكامش بعدم الالتفات لإنذارات الرب

الجبل نزل على أنكيدو نفسه العقاب بأن أصيب بمرض غامض أدى أخيراً إلى وفاته. فرويت لنا الكثير من الأحلام من العراق القديم حلها الملوك والأمراء وبعض الأفراد التي ظهر صدمتها فيما بعد حسب رواياتهم، فأتى الإله إلى أوتونابيشتوم في نومه وأخبره بنبأ تصميم الأرباب على وجوب معاقبة البشر بطوفان كرم وأعطاه الأوامر في بناء الفلك وساعة فوران التنور. وقبل أن يقابل كلكامش صديقه انكيدو كما تروي الملحمة كان قد رأى حلماً فسرته إليه أمه الربة ننسون يقرب تعرفة على صديق سيكون عزيز عليه .

فقد رأى سقوط شهاب من السماء عليه ثقل عليه رفعه وعندما اجتمع الناس من أوروك حوله أنحنى هو عليه ورفعه جعله نظيراً له. وفي حلم ثان رأى كلكامش أنه قد عثر على فاس غريبة المنظر في أوروك. وفسرته له أمه بقرب تعرفه على رجل سيكون له صديقاً يعينه بالضيق. ففي البداية نرى الأحلام في ملحمة كلكامش تفسرها أم كلكامش من بعدها يحللها له أنكيدو وبعد موت الأخير صار كلكامش نفسه يفسر أحلامه[١].

فتتميز الأحلام بتكوين لا شعوري للحلم واستخدام شعوري للغرض الذي يقصده الحلم حسب التفسير. وهي دون شك تحمل قارئها على تصديق أحداث لا تعود بالواقع إلى الحياة اليومية المألوفة. فليس من المعقول لبطل الوركاء وهو القوى الشجاع، حسب ما تصفه الملحمة، إن يتحداه بربرياً ساذجاً ومن ثم يرتبط به مدى حياته. ولهذا الارتباط أهمية ولأجل أن يجعله مقبولاً استخدم الكاتب وسيلة الحلم - وجعلت الأحلام العلاقة بين كلكامش وأنكيدو محتملة. ولكن عندما فقد كلكامش انكيدو

(١) James, op.cit, pp. 268-270.

وصلت الأحلام إلى الحد الذي كشفت به عن العالم الآخر.ولهذا فإنه ليست فقط قد تنبأت بالموت ولكن كشفت العالم الأسفل.

فشخصيات ملحمة كلكامش حسب ما يظهر تكشف عن خبرة حلمية صحيحة. فالجبل الذي تهاوى وظلام النهار وشخصيات العالم السفلي هي في الواقع رؤى يمكن أن تظهر للحالمين[1] وأخبرنا كابيتي إيلاني مردوخ (موا) ١٧٢٨ - ١٦٥٨ ف.م بأن الإله إيشوم قد أفصح له عن قصيدة بايرا[2].

وأخبرنا جودية بأنه استلم الأمر بإعادة بناء الأي - نيننو، المعبد الرئيس في لكش، في حلم وبعد أن قدم الأضاحي إلى نينكرزو والربه، تومدوك ونينا خاطب الأخيرة بدعاء منه (... أيتها الأم، مفسرة الأحلام، ففي منتصف حلمي، رأيت شخصاً، تصل قامته السماء والأرض وعلى رأسه التاج، إنه إله وعلى جانبه الطير الإلهي الأمكيك، وعند قدميه الصاعقة وعن يمينه ويساره يجلس أسد، أمرني إن ابني بيتي. لم أعرفه ولكن الشمس خرجت من الأرض، وطلعت منها امرأة في يدها القلم ولوح نجمة السحوات الطيبة.... وظهر رجل آخر يحمل في يده لوح من اللازورد، واضعاً خطة معبد وضع (بعدها) إمامي).

وكان تفسيرها أن الإله الذي تصل قامته السموات والأرض هو نينكرزو، والشمس الخارجة هو نينكيش زيدا وحاملة القلم نيسابا والأخير

(١) Delaporte, op, cit. p. 167..

(٢) طه باقر، ملحمة كلكامش، سلسلة الثقافة العامة، رقم ٨ (بغداد ١٩٧١) ص ١٢٨، ص ٦١-٦٣، ص ٨٥، ص١٠٢، ص١٠٤.

هو الإله نيندوب[١] ومن قبل نقرأ عن حلم ياننا توم أنسي لكش عند هجوم جيوش مدينة أومما على مدينته. فقد وقف الإله نينكرزو في الحلم عند رأسه وأخبره من أن الإله بيار سوف يسير إلى جانبه ووعده بالنصر[٢].

وكان حكام المدن الخاضعة لمدينة ماري يكتبون إلى عاهلهم ما يرويه الأفراد لهم من أحلامهم مما يعتقدون بارتباطه بمستقبل المملكة. ثم حلم كومّمايا Kummaya ذلك الأمير الآشوري الذي وصف لنا ما رآه في رحلته التي قام بها في أثناء نومه إلى عالم الأموات. فقد رأى ملك الموت برأس تنين - أفعوان بيدين بشريتين، وشاهدو فركال على عرش ملكي وتشفع له عند الأخير الإله أيشوم فركال الشفيع[٣].

ووصلتنا من العصر الآشوري المتأخر نصوصاً تدون الكثير من الأحلام المهمة. ففي رسالة بكت ملردو رشوم - اوصور إلى الملك آشور بانياب ما نصه (في حلم قال الإله آشور إلى (سخاريب) جد سيدي الملك، أيها الحكيم، الملك، سيد الملوك، نسل الحكيم وادايا. لقد فقت في معرفتك أيسو وجميع المهرة. وعندما ذهب والد سيدي الملك (اسرحدون) إلى مصر. رأى (في الحلم) لمنطقة حران معبداً من خشب الأرز وفيه الإله سن متكئاً على عصا بتاجين على رأسه وأمامه الإله نوسكو. فدخل سيدي الملك ووضع (الإله) التاج على رأسه وقال له ستذهب إلى الأقطار،

---

(١) Raymond de Becker, The Understanding of Dreams and Their Influence. Upon History of Man, Translated By Michael Heron (New York, 1964) pp. 107-108.

(٢) Nels M. Baikey, A Babylonian Philosophy of History Osiris, vol, IX (1950). pp. 109 FF.

(٣) Francois Thurcan - Dangin, Les Inscriptions de sumer et d'Akkad (paris,. 1905) pp. 137 FF.

و(ستغزو)[١] وأخبرنا الملك بنونيذ بأنه قد رأى حلماً ظهر له به الأرباب مردوخ وسن، أخبره الأول أن يهيء الطابوق ليبني معبد حران ويعيد سن إلى عرشه السابق.

أو حلم إله نفسه مثل حلم دموزي[٢] وفسرت أخته كشتين أننا Geshtin Anna حلماً له كفأل يعلمه عن قرب موته ونصحته بأن يجتهد في إخفاء نفسه من العفاريت[٣].

ومن أرباب الأحلام في العراق القديم كان الإله زاقيقو Zaqiqu والربة مامو Mamo أو ماخير Makhir وهي الربة التي كان لها مزار في بلاوات. ثم زاكار Zakar الذي عدّ رسول الإله سن. وقد أطلق على شماش اسم رب الأحلام (بيل بيري Bel Beri).

ووصلنا رقيم حوى تفسير ليضع أحلام نستنتج منها بأن كايت الرقيم(إن كان هو المفسر) قد فسر العكس مما هو تعارف عليه كتفسير للظواهر التي يراها الحالم. فالمعروف على سبيل المثال أن الجهة اليمنى كانت هي الحسنة ويكون فألها بذلك حسناً وكذلك الجهة العليا ولذلك صرنا نسمع في التفسير عدّه الجهة اليسرى التي رآها الحالم حسنه والسفلى هي الطيبة حيث نقرأ (إذا نظر نحو يساره فإنه سوف يدحر العدو، إذا رجفت عينه اليمنى فسوف يظهر عليه مرض، إذا رجفت عينه اليسرى فسوف يفرح فؤاده، إذا عض لسانه من اليمين فسوف يعارض بعداوه، وإذا عض

(١) Ibid, p. 27..

(٢) الدكتور فيصل الوائلي، من أدب العراق القديم، سومر، مجلد ٢٣ (١٩٦٧) ص ٩٦-٩٩.

(٣) Hooke, op.cit, pp. 86-87..

غنيمة له شخصياً[١] وقد أتحفنا الأستاذ أ. ليو اوينهايم بترجمة لكتاب الأحلام الآشوري الذي يعود زمنه إلى العصر المتأخر. فإذا قرأنا الأحلام المدرجة في الكتاب نجد ماهو شاذ وغريب بينها. فألواح كتاب الأحلام الآشوري الأحدى عشر وربما الإثنا عشرة كانت جزءا من مجموعات مكتبة الملك اشور بانيبال. وهي مكونة من حوالي ثمانين قطعة تدور حول تفسير الأحلام. وإن الأول والأخير من هذه الألواح اشتمل على أدعية وتعاويذ وطقوس الغرض منها طرد عناصر الضر والشرور المذكورة في الألواح المتبقية أي من اثنين إلى تسعة .

أما الألواح التسعة المذكورة آنفا والتي ينقصها اللوح السادس الآن فقد أعطيت غناوين مختلفة مثل الإله زقيقي رب الأحلام للوح الأول و (إذا صنع رجل في حلمه بابا) للوح الثالث و (إذا كان رجل مرتدياً الفضة) للوح الرابع و (إذا رأى رجلاً في حلمه الإله انليل) للوح الثامن و (إذا دخل رجل من البوابة الرئيسة لمدينته) للوح التاسع و (إذا نام رجل على جانبه الأيسر وكان حلمه مشوشاً) للوح العاشر و (إذا كانت أحلام الرجل مرتبكة) للوح الحادي عشر[٢].

ففي القسم الأول من اللوح الثالث نقرأ عن البناء والعمل في الحياة اليومية. فرؤية رجل لنفسه يضع باباً ما كرسياً، سريرا، مصطبة، منضدة أو قارباً فإن تفسيرها أن عفريتاً سيتجه إليه. وإذا رأى في حلمه أنه يعمل بشغل ليلي فإن إلهه الحامي سوف يجرده من ثروته، أو سراحاً فإن ثروته ستتضاءل أو في عمل قامع ختم الكاهن الأعلى الأسطواني فإن ابنه

(١) نفس المصدر ص ١٢٠.
(٢) نفس المصدر ص ١٢١ خط ٦٧.

لسانه من اليسار فسوف ينشرح فؤاده. إذا عض شفته العليا سوف يكتظم. إذا عض شفته السفلى سوف ينشرح[١].

والمعروف أن الأرض عدّت عند العراقيين القدماء مصدر الظلمة والسماء مصدر النور ولكن صارت رؤية الأرض في الحلم الذي نراه. الرقيم حسناً (على العكس) والسماء طيباً (إذا نظر إلى السماء سوف يأتي له كرب. إذا نظر إلى الأرض سوف يحصل له سرور) ونقرأ في نفس الرقيم ما قد نستنتج منه اعتماد المفسر على الارتباط المنطقي حيث ورد (إذا مسكه رجل أحدب فإن لعنته سوف تنصب عليه. إذا مسكه رجل أحدب من أنفه وكاد أن يخنقه فسوف يأتي له عار[٢].

فالاحدب نظر إليه في الغالب كرجل لم تمنحه الأرباب مقبول وهيأة حسنة لهذا صارت مسكته في الحلم تجلب لعنة الآلهة وسخطها. ونقرأ أيضاً (إذا كان يحمل بيرة في الشارع فإن قلبه سوف ينشرح. إذا كان يحمل ماء في الشارع فإن ذنوبه سوف تكفر)[٣] فشرب البيرة يجلب الانشراح والماء دون شك نظر إليه كعنصر مقدس.

و (إذا كان ماسكا قوساً في يده فسوف يحصل على غنمة) فالقوس هو آلة حرب فمن الطبيعي أن نجده مقروناً في الحلم تبعاً للارتباط المنطقي مع الغنيمة. وفي الشطر التالي نجد مزجاً بين الارتباط المنطقي والعكسي إذ جاء (إذا كان ماسكاً بقوس، في يده ثم سقط منه على الأرض فسوف يحصل على

(١). Th. Jacobsen, The Dumuzi Dream, JNES, vol XII (1953) pp. 165-166.

(٢). Bendt Alster, Who is Dumuzi's Friend (KU-Li)? Acta orientalia, Vol.XXXIII, (1971) pp. 335-336.

(٣). Steven Langden, A Babylonian Tablet on the Interpre- tation of Dreams, Museum Journal, vol. VIII, (June 1917) p. 119 FF.

سيموت[1].

ويمكن أن تؤخذ هذه كشكل نموذجي لتفاسير الأحلام الأولية، وذلك لوجود التكرار الكثير والنمطية في التنبؤات مع ظهور عبارات متعارف عليها. وهذه جعلت الأستاذ أوبنهايم يستنتج سبب قلة الاهتمام في تفسير الأحلام عند الناس آنذاك نظراً لاعتمادهم الأكبر على العرافة ونتائجها. ويظهر من النص السابق أن المؤلف قد رتب الحرف في تسلسل منطقي إذ أن تفاسير الأحلام فيها كانت سقيمة وتختلف درجة تعاستها من واحد لآخر من ناحية ولابد من أن تكون حرفاً ذات منزلة واطئة اجتماعياً.

وفي اللوح السابع نقرأ رؤية الرجل لنفسه في الحلم (إذا توسعت بولته أمام عضوه التناسلي و (شملت) الحائط والطريق فإنه سوف يرزق بولد وسيكون هذا الولد ملكاً وإذا تبول على حائط (.. مكسور..) فسوف لا يكون عنده أولاد. وإذا تبول على قصب صغير فسوف لا يكون عنده أولاد. وإذا (.. مكسور . . .) بولته يقدمه فسوف يموت ابنه الأكبر. وإذا غسل يديه في بولته فسوف يكون تمتعه قليلاً. وإذا وجه الرجل بولته نحو السماء فإن الرجل سوف يرزق بولد يكون له شأن كبير ولكن أيامه ستكون معدودات وإذا تبول الرجل في النهر فإن محصوله سيكون كثيراً. إذا تبول الرجل في بئر فإنه سوف يخسر ممتلكاته. إذا تبول رجل في قناة للري فإن الإله أداد سوف يغرق محصوله.

وإذا تبول الرجل على ربه الحامي أو ربته الحامية فإنه سوف يجد ممتلكاته المفقودة. إذا شرب رجل بول زوجه فإن هذا الرجل سوف يتمتع

---

(١) نفسه.

بالرخاء[1] وفي هذه التفاسير نجد تأكيداً لنظرية سيجموند فرويد في الرمزية العالمية Universal symobolism فبصورة لا شعورية ربط العراقي القديم بين البول (الحيامن) وإنتاج الأطفال. وبهذا فإنها توافق تماماً نظرية فرويد في اتجاهات الطفل الجنسية الأولى Infantile Sezuality: فكميات كثيرة من البول معناها أن الرجل الحالم سوف يحصل على ولد أو أولاد كثيرون، والشيء المهم أيضاً هو رمزية الانحناء أمام البول احتراماً إذ ترمز بوضوح إلى الرغبة والحاجة إلى الأطفال ولاسيما الذكور منهم.

وإن قلة البول كما يدل عليه رمز القصب الصغير يدل على العقم. والبول بذاته يدل رمزياً على تدنيس وتلويث النفس، وبذلك يفسر كفأل غير حسن (ولاسيما في وفاة الابن الأكبر وحدوث قحط أو جوع) وتوجيه البول نحو السماء ينتج في صيرورة الابن ذا قيمة وأهمية والسبب في ذلك يعود إلى ارتباط السماء مع الأرباب فقد كان الاعتقاد القديم بأن الآلهة تسكن هناك. ولكن حياته سوف تصبح قصيرة بتقدير الآلهة نفسها وذلك يعود ربما للوقاحة البالغة التي بينها في عمله هذا والذي ربما أراد من ورائه الاتصال جنسياً مع بعض الربات.

وإن وطأ الحالم بولته معناه احتقاره لها ورؤيا دالة على خسارته لأعز أبنائه وهو الابن الأكبر. وإذا ما غسل يديه في بولته، ذلك الغسل الذي سيؤدي حتماً إلى ضياع قسم كبير منه في الأرض واستشاره لكمية قليلة منه فسيؤدي إلى نتيجة مشابهة ألا وهي تمتعه القليل بالحياة. والعبارات الأربع التي تلي هذه مهمة أيضاً. فهنا نلحظ حظاً سعيداً يأتي بعد التلقيح الرمزي

(١) A.Leo Oppenheim, The Interpretations of Dreams in Ancient Near East. with a Translation of an Assyrian Dream Book, (Philadelphia, 1956) p. 262

لكثيرين آخرين (البول في ماء جاري مثل النهر).

ولكن الحظ التعس يأتي بعد البول في بماء البئر إذ سوف يضيع لكون البئر مقفلاً. أما إذا تبول في قناة اروائية وهي بالطبع صغيرة بطئية الجريان في الغالب فإن خسارته سوف لا تشمل كل ممتلكاته كما في حال البئر بل محددة على محصوله لتلك السنة بالذات فقط .

وإن صب بول الرجل الحالم على الرب الحامي له علاقة مع تضحية النفس وهي أعلى تضحية يمكن أن يقدمها إنسان إلى ربه الشخصي وبذلك فسرت بعثوره على ما فقده من ممتلكات. أما العبارة الأخيرة فواضحة. فإن شربه بول الزوج سوف يؤمن للرجل التمتع بذرية تؤمن له حياته في الكبر والشيخوخة. هذا وإن البول والتبول هما رمزيان للغاية.

ونقرأ في الرقيم الثامن العبارة التالية إذا رأى رجل في حلمه الإله انليل فإنه سوف يتمتع بعمر طويل(١). وهذه ربما تمثل نعمة خاصة مسداة إلى رجل نقي متدين تؤمن له طول العمر. وتقرأ في الرقيم التاسع (إذا رأى إنسان نفسه في الحلم ذاهب إلى مدينة تعز فمعناه حزن أو صحة لمدة سنة، ولباسل فمعناه تحسرات أو صحة لمدة سنة أو لهيت فإنه سيكون ذا عمر طويل وتكثر أملاكه)(٢).

فهذا الرقيم كما يظهر مخصص للأسفار. فهناك تناقض واضح في العبارتين الأوليتين بين الحزن والصحة والتحسر والعافية وربما ترجع إلى افتخار الكايت واعتزازه أو تعصبه إذ جعل السفرة لتلك المدينة يغطي أما حظاً سعيداً أو شيئاً معتمدة على كون الشخص المسافر من مدينته التي أتى

(١) ..Ibid, p.263

(٢) ..Ibid, p.264-265

منها هو أم لا. والأخيرة ترمز إلى مسافة بعيدة بالنسبة للكاتب لأن هيت بعيدة عن كل من الجنوب أو الشمال إن كان الرقيم قد كتب في واحد منهما. فالبعد في المسافة هنا يرمز إلى طول العمر إذ أن الحياة ما هي إلا رحلة.

وذكر أوبنهايم ثلاثة رقم أخرى غير مرتبطة كلياً مع كتاب الأحلام الآشوري ولكنها تبحث في نفس الموضوع[1]. وهذه تلائم الطبيعة الأساسية لكتاب الأحلام ألا وهي التكاثر البشري. فبصورة عامة نرى أن آكل لحوم الحيوانات الوحشية ينتج حظاً سيئاً كما يولد الأخير أيضاً اللحوم غير المألوفة ولحوم الأناس الغرباء. وأكل لحم الأصدقاء (ما عدا أكل لحم اليد) يشير بصورة عامة إلى حظ سعيد وخير سيجلبه الحلم.

فالعراقي القديم بذلك سيأخذ لنفسه حسن سريرة وطيب صديقة ثم يعكسها إلى العالم. وأكل الإنسان لحم يده قد يجلب حظاً تعساً لأن اليد عضو في غاية الأهمية للإنسان وهو في حلمه ينوي إنزال الأذى بها أو لأن اليد هو العضو غير المحظوظ من الجسم الذي تظهر عليه انفعالاته بسرعة. فعلى سبيل المثال إذا اختلف رجل مع آخر فإن اليد هي التي تضرب أي أنها الجزء من البدن الذي يورط صاحبه في النزاع أو لا يكسر الصداقة ويجلب الحظ السيء[2].

ويظهر التناقض في (إذا رأى رجل نفسه في الحلم يأكل عضوه التناسلي فإن ابنه سوف يموت) و (إذا رأى رجل نفسه في الحلم يأكل عضو صديقه

(١) Ibid, p.266..

(٢) Ibid, p.267..

التناسلي فمعناه أنه سيرزق بولد)[١].

وبالنسبة إلى فرويد فالأكل عموماً له علاقة باتصال جنسي محرم (مع أخت أو أم أو بنت أو بنت أخ الخ) وبذلك يكون أكل الإنسان لعضوه التناسلي مجلبة لسوء حظ إليه بينما أكل الشخص لعضو صديقه التناسلي لا يحمل بين طياته اتصال جنسي محرم. وبذلك يكون مجلبة لحسن حظ. و التفسير نفسه يصدق على (إذا رأى رجل نفسه في الحلم يأكل لحم يديه فمعناه أن ابنته سوف تموت) و (إذا رأى رجل نفسه في الحلم يأكل لحم قدمه فمعناه أن ابنه الأكبر سوف يموت)[٢].

فالعراقي القديم حسب ما تظهر هذه الأحلام وتفسيراتها، أدرك بصورة لا شعورية خطر عدم النسل واتخذ الاحتياطات (أيضاً بصورة لا شعورية) لتجنبها. وبالواقع فإن من الصعب جداً الافتراض بأن أكل لحوم البشر قد حدث فعلاً في العراق القديم.

وهناك عبارتان تتعلقان بأكل الغائط وكيف أنه ذو حدين يجلب سوء الطالع حيناً وحسنه حينا آخر باختلاف الأشخاص. (إذا رأى رجل نفسه في الحلم يأكل غائط صديقه فتفسير ذلك أن ممتلكاته سوف تزيد ويكون حسن الحظ وسيقول عن ثروته أين سأضعها؟ إذا رأى رجل نفسه في الحلم يأكل براز الحيوانات الوحشية فسيكون ثرياً)[٣] فبراز البشر عند الأقوام البدائية يقرن دائماً مع الثروة وكأنها شيء قد أنتج من قبل الفرد ونتيجة لجهود بذلها إلى جانب ذلك فإن التغوط بذاته عمل مريح ملذ للنفس الأمر

(١) Ibid, 269..

(٢) Ibid, 270-271..

(٣) Ibid, p.271..

الذي يجب أن يكون مقروناً مع حسن الحظ.

وإذا ما اتينا على العبارات المتعلقة بالأختام الأسطوانية بكتاب الأحلام الآشوري هذا[1] فنرى في تفسير الأحلام إن إعطاء شخص لختم أسطواني إلى آخر له علاقة بإنجاب الأطفال. ولهذا تفسيران. فالختم الأسطواني مهم في الكشف عن الهوية وبذلك يمثل الحظ المباشر الذي يربط الاب مع الأبن. أو أن هذه الأختام ربما كانت قد انتقلت من الأب إلى الابن في حال الوفاة ساندة بذلك التفسير التعريفي (الكشف عن الهوية).

وربما تكون العلاقة بين الختم الأسطواني والأطفال متأتية من تشابهها مع عضو الإخصاب عند الرجل. وبذلك تكون ممثلة للعلاقة وعملية التخصيب المباشر وفكرة إنجاب الأطفال. ومن المهم أن نذكر بأن أكثر الرموز المستخدمة في الأختام كالأسود والسهام والأرباب لها تعابير صريحة وواضحة للقوة والإخصاب والنشاط. وهناك فقرات تتعلق بالتسليم (إذا رأى رجل نفسه في الحلم وقد أعطي لحم خنزير يفني سوء الصحة)[2].

إذ أن الخنزير نفسه معروف كحيوان قذر يأكل ما يجد وربما أنهم عن خبرة (ولو أنه ليس لنا دليل على ذلك) قد عرفوا بأن أكل لحم الخنزير قد يعرض الإنسان إلى أمراض. أما إذا كان اللحم المعطى غير مطبوخ فمعناه أن الحيوان نفسه سوف يهاجم الرجل الحالم أو يلم به مرض أو يموت. ونعرف عن مهاجمة الخنزير الوحشي للكثيرين من الناس ولاسيما في مناطق الأهوار والزراعة الكثيفة وقتله إياهم في تلك العصور.

(١) Ibid..

(٢) Ibid, p.273..

ثم تقرأ (إذا رأى رجل في حلمه أن شخصاً قد أعطاه شحم أسد فسوف لا يتمكن أحد من منافسته. وهنا أيضاً عندما تحاول تطبيق قانون التأثير يبرز للحلم معناه فالأسد معروف بالقوة وخوف الحيوانات الأخرى منه وحتى البشر، فبذلك يكون أخذ الشخص الحالم لدهنه يعني أخذه لقوة الأسد وصفات ذلك الحيوان الأخرى الأمر الذي سيجعله قوياً لا يتمكن أحد من منافسته).

وفي عبارات الفأل نقرأ: (إذا رأى رجل في حلمه أن رجلاً آخر يسلمه عجلة فتفسيره بأن سوف يرزق بتوأمين. وإذا كان درعاً من الجلد فإن كآبته سوف تنفرج. وإذا كان منغزاً فتفسيره بأن سوف لا ينافسه أحد. وإذا كان مزلاج باب فتفسيره بأن سوف لا تنفضح أسراره[١] والعجلة بلا شك تأتي في زوجين اثنين على الدوام وبذلك اقترنت هنا بولادة التوائم، أما الدرع فمعناه الوقاية والحماية من أي خطر فسيكون بذلك قوياً لا يقوى أحد على منافسته والتغلب عليه. أما المنغز فهو أداة دفاعية وبذلك له علاقة بتقوية الإنسان لنفسه بالوقت الذي يستعمل مزلاج الباب لغلقها فلا يتمكن بعد ذلك أحد من فتحها بسهولة وبفعل قانون التشابه).

وفي مكان آخر نقرأ (إذا رأى رجل نفسه في الحلم يعطى كأساً فارغاً فمعناه بأنه سوف يصبح فقيراً... وإذا كان مملوء فمعناه بأنه سوف يصبح ذا أسم مشهور ونسل كثير... وإذا رأى رجل في حلمه أن أحداً يعطيه دهن أسد فالمعنى بأنه سيكون إنساناً كاملاً، وإذا كان دهن بغل فالمعنى بأنه سوف لا يكون إنساناً كاملاً. وإذا رأى أن أحداً يعطيه ماء فإن عمره سوف يطول... وإذا كانت بيرة فمعناه سوف ينس... وإذا كان خمراً فمعناه أن

(١) Ibid, pp. 276-277.

عمره سيكون قصيراً)[1].

فتسلم الحالم للكأس الفارغ معناه تقبله الفقر وبذلك سيكون متجهاً نحوه وإذا كان الكأس مملوءا فسيكون طريقه نحو الثراء وهنا يتوضح قانون التشابه. ولما كان البغل حيواناً عقيماً فلا تتوقع أن يكون تفسير الحلم الكمال بالنسبة للشخص الحالم. أما البول والماء فهما من رموز الخصب والتكاثر فلابد من أن يكون تفسير الحلم مقترن بطول العمر وكثرة الأطفال أو زيادة المال بالنسبة للحالم. وكما أن الفرد أثناء شربه للبيرة ينسى أو يتناسى مشاكله وآلامه وقد يصيبه فرح وقتي، فقد قرن الحلم بين النسيان وشرب البيرة. أما الخمرة فلكونها لا تجعل شاربها ثملاً إلى ما لا نهاية ومفعولها يتلاشى بعد مدة من الزمن تقصر أو تطول بالنسبة للكمية التي شربها الشخص وبذلك يكون تفسير الخمرة وشربها هنا سرعة زوال وقرب نهاية العمر.

وأن ألواح التعويذة هي الأول والعاشر والحادي عشر[2] وهناك أدلة على أن الألواح الثلاثة كانت بالأصل مجموعة منفصلة عنوانها (تحويل الأحلام السيئة إلى حسنة) وهي مرتبطة مع نصوص لفأل من كتاب الأحلام لعلاقتها به. وتشمل هذه النصوص على دعوات وسحر وطرد شرور استعملت في مناشدة الأرباب لنعم وفضائل ومن هذه الدعوات نقرأ نصا (إذا رأى رجل شيئاً فيجب ـ لأجل أن لا تصيبه نتائجه السيئة ـ أن يقول لنفسه قبل أن يضع قدمه على الأرض (في الصباح) إن الحلم الذي رأيته كان طيباً، حقاً طيباً أمام الإله سن وشماش وبذلك سيوقل ذلك

(۱). Ibid, p.278.

(۲). Ibid, p.279.

ويضع آجر من النوع الجيد واحدة لنفسه وحتى لا يقرب منه شر الحلم (الذي رآه).

وفي نص نقرأ شعيرة لأجل التخلص من نتائج الأحلام السيئة والتي عليه بموجبها أن يقرأ هذا الدعاء وهو مرفوع اليدين أمام الإله شماش و (سوف يحصل على ما يريد) (شماش أنت الحاكم أحكم في قضيتي، أنت الذي تصدر الأحكام، أصدر حكمك في دعوتي، بدل حلمي الذي رأيته إلى حلم طيب، هلا أسير في الطريق المستقيم، هلا أحصل على مساعد، يا شماش، هلا يكون حلمي طيباً طول النهار، يا شماش هلا يكون حلمي طيباً طول الشهر).

ونجد تعاليماً في هذا الباب في الرقيم المسمى (إذا رأى رجل حلماً سيئاً وأراد أن لا يتأثر بنتائجه السيئة) نقرأ فيه (إذا رأى رجلاً حلماً سيئاً في الليل فيجب أن يأخذ.. (مكسور) ... ويلطخ به كل جسمه (وهو متجه) نحو الشرق... وعلى قطعة من الفخار ثم يقول للقطعة، أيتها القطعة تركيبك قد امتزج بتركيبي، في تركيبك قد امتزج تركيبي، ثم عليه أن يخبر قطعة الفخار (يشارو) كل الحلم الذي رآه ثم يرميها في الماء ويقول (وكما أطلق هذه القطعة في الماء وتتحطم وتتلاشى جميع اجزاؤها، هلا تكون جميع نتائج الحلم الشريرة التي رأيتها، تختفي وتذوب وتبتعد عن يدي مسافة ستين ساعة مضاعفة. وهذا ما يجب أن يقوله إلى القطعة التي يرميها في الماء وآنذاك سوف يذهب عنه الشر)[١].

فهذه الدعوات هي بالواقع ستائر وتعاويذ الغاية منها طرد نتائج

(١) Ibid, p.300-302..

لأحلام الشريرة واستحصال أحلام حسنة بدلها. ومن هذه الأمثلة الثلاثة لتي ذكرناها، آنفا فالأولى تطرد شر حلم سيء وذلك عن طريق محاولة قناع الأرباب بأن الحلم كان طيباً لا سوء فيه. وهو بهذه الوسيلة يحاول ضليل الآلهة. وهذه الطريقة بالواقع معروفة في مختلف الأديان البدائية. أما الطريقة الثانية فهي نتاج عقلية أكثر تعقيداً كما يظهر وتحوي التماساً إلى الإله لأن يحكم ويغيره إلى حلم حسن. أما في الثالثة فنجد طريقة جديدة نعوضاً عن محاولة الشخص التهرب من نتائج حلمه السيء المخيفة. فإنه قد وجه شر الحلم إلى قطعة من طين الأرض يرميها لتذوب في الماء ومعها شرور الحلم التي يقاسيها الحالم وبذلك يكون قد خلص نفسه حسب اعتقاده من النتائج.

ووصلتنا من العراق القديم أدعية يتوسل بها المقيد إلى الأرباب كما نرسل له أحلاماً طيبة أمثال (يارب القمر الجديد الذي لا يوازيه أحد في لقوة والذي لا يتمكن أحد أن يحصل مشورته، لقد قدمت لك سائلاً طاهراً تضحية ليلية، قدمت لك شراباً طاهراً، انحني عليك، أقف مامك، استرشدك، وجه أفكارك الحسنة والعادلة نحوي حتى يصطلح معي ربي وربتي اللذين غضبا عليّ منذ أيام في الحق والعدل وسيكون الحظ لحسن نصيبي وطريقي مستقيماً ويرسل لي زاكار رب الأحلام في منتصف لليل كيما يغفر لي ذنوبي).

(أكشف نفسك لي ودعني أرى حلماً طيباً، هلا يكون الحلم الذي سأحلمه طيباً، هلا يكون الحلم الذي سأحلمه صحيحاً. هلا تقف مامو ية الأحلام عند فراشي، دعني أدخل ايزاكيلا بيت الحياة)[١].

(١) H.F.Lutz, (An Omen Text Regerring to the Action of A Dreamer" AJSL, . vol XXXV (1919) P. 145

الدكتور سامي سعيد الأحمد، الصول الأولى لأفكار الشر والشيطان (بغدد ١٩٧٠).

الدكتور سامي سعيد الأحمد، العراق من العصر الأكدي (بغداد، ١٩٧٨).

الدكتور سامي سعيد الأحمد، العراق من العصر الأكدي حتى نهاية سلالة بابل الأولى (بغداد، ١٩٨٣).

الدكتور سامي سعيد الأحمد، المظاهر الدينية في العراق القديم، المجلة التاريخية عدد ٥ (١٩٧٥) ص ٥٧ -١١١

الدكتور سامي سعيد الأحمد، ملحمة كلكامش، (بيروت ١٩٨٤).

طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول (بغداد ١٩٥٥).

الدكتور فاضل عبد الواحد علي،عشتار ومأساة تموز، (بغداد ١٩٧٣)

الدكتور وليد الجادر، الديانة عند البابليين، تأليف جان بوتيرو (بغداد، ١٩٧٠).

- Saml said ahmad, charachteristies of anclent Mesopotamian relifious thought, lraq today, no 106 (1980) pp. 25-30, no107 (1980) pp. 26.

- E.S Edwards, the Cambridge ancient history, voll.lpart l (Cambridge, 1970) vol.l, part 2 (Cambridge, 1917).

- George contenaue, everbay life in babylonia and assytia, (n.y. 1965).

- Edouar dhorme, les religions de cabyionien and d assyrer, (paris, 1947).

- S.H. Hooke, babyionian and Assyrian religion (new York, 1953).

- Th- dacobsen, Mesopotamian religion, towards the image of tammuz and other essayson Mesopotamian history and cultary and cultre, ed. Eilliam L moran, (Cambridge, mass, 1970).

- Alexander heidel, the giigamish Epid and old testament peralells(shcage, 1970) E.O. James, the ancient gods, (N.Y., 1960).

- Morris jastow, relifion of babylinia and Assyria (boston, 1898).

Morris fastorow, aspect of religious celled and practice in babyionia and Assyria, (London, 1911).

- Moeeis jastrow, die religion babyionien und assyrien, (Giessen, 1912).

- Moeeis jastrow, the civilizations of babyionia and Assyria, (phiiadel- phia, 1915).

- L.W. King, cacyionian magic and sorcery, (London, 1898).

- S.N. Kramer, the sumeriand, (Chicago, 1963).

- S.N. Sumerian mythology, (philladelphia, 1944).

- Bruno meissner, Banyioien und Asyrer, 1-11, (Heidelberg, 1925).

- H.E.Saggs, the greathese that was babtion, (N.Y., 1926).

- JAMES PRITCHARD, Aneient near easten tests related to the old testa- ment, (Princeton, 1969).

- A. unghacl, die religion der babylonler uno assyere (dena, 1921).

الفهرس

هذا الكتاب:

يمثل كتاب **المعتقدات الدينية في العراق القديم** محاولة جادة للبحث في الغاطس والفواعل الاساس التي أسهمت في تكوين ملامح الشخصية العراقية القديمة عبر وسيلة استيعاب ظاهرة التدين والمعتقد الذي لاذ به من أجل الترويح عن معاناته وتأمين وجوده المضطرب وربما تفسير بعض الظواهر التي عجز ذهنه التقليدي عن تفسيرها.

فسعى الكتاب وعبر جملة محاور أساس ركزت على جذور تلك المعتقدات والمؤثرات عليها ، والمظاهر التي تجلت بها إلى دراسة الدين في العراق القديم والمعبودات التي ظهرت فيه.

ISBN 978-9948-88-742-5

